

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفنى
قطاع الكتب

كفاح شعب مصر

للصف الثانى الإعدادى

طبعة ٢٠١٧-٢٠١٨م



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
والتعليم الفنى
قطاع الكتب

كفاح شعب مصر

للصف الثانى الإعدادى

تأليف

د/عز الدين فراج

لجنة التعديل والمراجعة

د.أحمد السعيد شلبى — د.إسماعيل محمد عبد العاطى

د.كمال عوض الله عبد الجواد — د.سعيد عبد الحميد عبد القادر

إشراف تربوى

مدير مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية

طبعة ٢٠١٧-٢٠١٨م

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مقدمة

كنتَ يَا ولدى وأنت طفلٌ صغيرٌ فى المرحلةِ الأولَى من دراستِك تُطارِدُنى كلَّ مساءٍ لأقصَّ لَكَ قصةً، وَكنتَ دائمًا تَحْظَى[1] فى كلِّ لَيْلَةٍ بقصَّةٍ، وكنتَ تَجِدُ فى كلِّ قِصَّةٍ تَسْلِيَةً ومُتْعَةً.

ومضتْ بِكَ الأيام يا وَلدِى، وإذا بك قد كبرتَ، وأصبحتَ فتًى يُدْرِكُ طبيعة الأحداثِ الجاريةِ حولَه، فكان لابدَّ أن أقُصَّ عليك القصةَ الكبرى، قصةَ شعبِنا العربىِّ الخالدِ، قصةَ شعبِنا المجيدِ عَبْرَ القُرونِ والعُصُورِ.

واليَوم أقَدمُ لَكَ هَذِه الصفحاتِ، لِتَرَى فيها حقيقةَ شعْبِنَا الذى نشْرُفُ بالانتِسابِ إليهِ، ولِتَرَى كَيْفَ ثَبَتَ أَمَامَ الْمِحَنِ[2] وكيفَ صَبَرَ على المَكارِهِ والخطُوب[3] وَكيفَ صَمَدَ[4] أمَامَ عظائِمِ الأُمورِ، وَكَيْفَ وَقَفَ فى وَجْهِ الغُزَاةِ والدُّخَلاءِ المستَعْمِرين.

فى هذه الصفَّحاتِ يا وَلَدِى أَرْوِى لَكَ أَحداثَ الماضِى، لِتَلمِسَ عَظَمَةَ أَجْدادِكَ، وَلِتُدْرِك أنَّكَ مِن شَعْبٍ عظيمٍ، كانَ يُريدُ دائمًا العِزَّةَ والرِّفْعةَ، وكانَ يَأْبَى[5] دائِمًا المَذَلَّةَ والهوانَ[6].

أَرْوِى لك هذه الأحداثَ، لِترَى كَيْفَ جاهَدَ أَجدادُك فى شَجاعةٍ، وَبُطُولَةٍ وَتَضْحِيةٍ نَادِرَةٍ، وَلِتَرَى كَيْفَ حَاوَلَ الْغُزاةُ أَن يُغَيِّرُوا مِنْ طَبِيعَةِ شَعْبِنا وَشخصيَّةِ قَومِنَا فَمَا لاَنَ شعبُنَا ولا ضَعُفَ، وَمَا خضَعَ ولا استكانَ[7] ، وكانَ مَعَ الأَيَّامِ أَثبتَ من الجبال صُمُودًا، وَأصْلَبَ مِنَ الفُولاذِ، فَبَقِيَتْ بِلادُنا خالدةً.

وَكَمْ مَنْ مَرَّةٍ اجتاحَ بِلادَنَا الغَاصِبُون وَظَنُّوا أَنَّهُم قَلَبُوا مُدُنَهَا أَنْقَاضًا[8] فَوْقَ سُكَّانِها فإذا الشعبُ الأصيلُ ينفُضُ عَنْهُ غُبارَ الاستعمارِ.

وستَرَى يَا وَلَدِى فى هذه الفصولِ المُتَتَابِعَة كَيْفَ اسْتَطَاع شَعْبُنا المَجيدُ أن يَثِق بنفسه، ويؤْمنَ بِحَقِّه فِى حَياةٍ حُرَّةٍ كَرِيمَةٍ، وسَتُدْرِكُ كَيْفَ استَطَاعَ بِصَبْرِه وَشَجَاعَتِه وَإِيمَانِه أَنْ يَهزمَ الْمَغُولَ والصَّليبيين، يتعايش مع الأَتْرَاك، ويُذلَّ الفَرَنْسيِّين، ويقاوم الإِنجليز.

المؤلف

---

(١) تحظى : تنال

(٢) المحن : البلايا والشدائد.

(٣) الخطوب : الشدائد.

(٤) صمد : ثبت.

(٥) يأبى : يرفض.

(٦) الهوان : الذل.

(٧) استكان : خضع وذل.

(٨) أنقاضًا : نقض البناء هدمه، جمع : نقْض ما هدم من البيت.

يبدأ الفصلُ الأولُ من كِفَاحِ شَعْبِنا المَجِيدِ ، بِقِصَّةِ جَماعَةٍ مِنَ الرُّعاةِ ، كَانوا يعيشُون فِى آسْيا ، ويُعْرَفُونَ بالهُكْسُوس .

لقدْ تسلل هؤلاء القَوْمُ إلى مِصْر ، أَيَّامَ أَجْدادِنا الفَراعِنَةِ ، أَغارُوا عَلَيْها مِن الشمال ، حَتَّى وَصَلَ زَحْفُهُم إلى مَا نُسَمِّيه الآنَ مُحَافَظَةَ الشَّرقيةِ ، وعَسْكَروا فى بَلدةِ «أواريس» وأقاموا بِها ، وَجَعَلوهَا عَاصِمَةً يَعْتَصِمُونَ[1] بها .

وَبَدأ هؤلاء الْقَوْمُ يَتَدَخَّلون فِى شُئُونِ مِصرَ ، وَيَزْحفُون حَتَّى امْتَدَّ نُفُوذُهم إلى كَثيرٍ مِنْ أَرجائِه[2] ، عامِلِين عَلَى تَفْرِقَةِ صُفُوفِ الشَّعْبِ ، وَإِخْمَادِ قُوَّتِه ، وَإِضْعافِ كلِمَتِه .

رَاحَ هَؤُلاءِ الْقَوْمُ يَا وَلَدى يَظْلِمُونَ النَّاس ، وَيَنْهَبُونَ أَقْوَاتَهُم ، وَيَسْرِقُونَ أَمْوَالَهم ، ويُشرِّدُونَ أَبْنَاءَهُم، حَتَّى عَمَّ الغَضَبُ والسُّخْطُ جَمِيعَ أَنحاءِ[3] البلادِ.

ولم يَكْتفِ هَؤُلاءِ الدُّخلاءُ بكلِّ ذلكَ ، بَلْ راحُوا يَسْخَرون مِنْ عاداتِ الْمِصريِّين وَتَقَالِيدِهم حتَّى بلغَ بِمَليكِهِم أَنْ يَسْخَرَ من «سقنن رع» أَمير طِيبةَ ، وكَان سقنن رع وقتَئذٍ أَقْوَى أُمراءِ مِصرَ ، وَأكثرَهُم إِخْلاصًا لبلادِه ، وأشدهم مُعارضةً لِحُكْمِ هؤلاءِ الدُّخَلاَءِ .

أرسلَ مَلكُ الهُكْسُوس رَسُولاً يقولُ لسقنن رع : «إِن أفراس النهر فى طيبة [4] تُزْعِجُهُ فى أَواريس»[5] إذا لَمْ تَكفَّ أفراس النهر عَنْ هذه الأصواتِ فَسَيْرسِلُ من يُبِيدُها [6] .

فصَاح سقنن رع غاضبًا قائلاً لِرسُول مَلِكَ الْهُكسُوسِ هذا تَهْديدٌ ووعِيدٌ ... أَتُزعِجُهُ أفراس النهر فِى طِيبةَ ، وَالمسافَةُ بَيْن طِيبةَ وأَواريسَ سَبعمائَةِ مِيلٍ أو تَزِيد؟ ثُمَّ عادَ رسولُ الهكسُوسِ يقولُ:

لقدْ عَلِمَ سيدى أَنَكَ تزيد فى جيشِك ، لهذا أَرسَلِنى إِلَيْكَ مُنْذِرًا ومُحَذِّرًا .

---

(١) يعتصمون بها: يلجئون إليها ويحتمون بها.

(٢) أرجائها: نواحيها مفردها رجا.

(٣) أنحاء: جوانب وجهات.

(٤) طيبة مكانها الآن الأقصر.

(٥) أواريس عاصمة الهكسوس ، فى شمال مصر.

(٦) يبيدها: يهلكها.

وَمَا أَن خَرَجَ رَسُولُ الهُكْسُوسِ ، حتَّى اجْتَمع سقنن رع بِرجَالِه للتَّفْكِيرِ فى رَدِّ هَذِه الإهانةِ التى لَحِقَتْ بِهِمْ ، مِنْ مُسْتَعْمِرٍ دَخِيلٍ . وانتهى اجتماعهُم بِأن يُرسِل «سقنن رعَ» إلى جميعِ أمَراءِ مِصرَ رُسُلَهُ ؛ لِيَدْعُوهُم إلى ضَمِّ الصفوف وَجَمْعِ الكلمةِ ... وإلى لقاءٍ قريبٍ فى القصر.

شَعَرَ أُمَراءُ مِصْرَ، أنَّه لم يَعُدْ للصّبْر أيُّ مكانٍ بَعْدَ اليَوْمِ ، وبَعْدَ أَن سَمِعُوا نِداءَ سقنن رع ودعْوتَهُ. وجاءَ يُوْمُ اللِّقاءِ يا ولدى، وأَعْلَن النَفيرُ قُدومَ الأُمَراءِ وَاحدًا بعدَ واحدٍ ، وعِنْدَما اجْتَمَعَ الأُمراءُ بدأَ «سقنن رع» يَقُولُ :

لَنْ نَرْضَى الْحَياةَ فِى وَطنِنَا عَبِيدًا أذلاءَ ، وَلَنْ نَقْبلَ أَن يَتَحَكَّمَ فِينَا عَدُوٌّ يُفْسِدُ عَلَيْنَا نُفوسَنا وَأَفكَارنا ، وَيَغْتصِبُ أَرضَنَا ، ويَقْتُلُ أَبْنَاءَنَا وَيُحَطِّم عِزَّتَنَا وَكَرَامتَنَا.

ثُمَّ راحَ «سقنن رع» يَقُصُّ عليهم قِصَّةَ أَفْراسِ النهر ، وَكَيْفَ كَانَتْ تُقْلِقُ مَلِكَ الهُكْسُوسِ فى «أواريسَ» .

فصاحَ أَميرُ «بُوتُو» قَائِلاً : «لَقَدْ تَجاوَزَ الظَّالِمُون الْمَدَى» .

وصاحَ أَميرُ قِفْطَ: « لَنْ نَقْبَلَ هذهِ الإهانَةَ أَبَدًا» .

وصاحَ أَميرُ أَرْمنتَ: «لابُدَّ مِنْ تَأْدِيبه وَطَرْدِهِ مِنْ هَذِهِ البِلادِ» .

وَعَادَ سقنن رع يَقُولُ :

كَيْفَ نُعِدُّ للأَمْرِ عُدَّتَهُ ؟

فَقَالَ أَمِيرُ :

سَأُقَدِّمُ لِقِتَال هؤلاءِ الدُّخلاءِ كُلَّ ما جَمَعْتُه مِنْ «عَربَاتٍ» ؛ لِكَيْ نُحَارِبَهُم بِمِثْلِ مَا يُحارِبُونَنَا به .

وَصَاحَ أَميرُ أَبيدوسَ: لَنْ أَتْرُكَ فِى مُقَاطَعَتِى رَجُلاً إلا أَرْسَلْتُه إِلَى قِتَالِ هؤلاءِ الْهكسوسِ.

وصاحَ أَميرُ قِفْط : يا سقنن رع : إن جُنودِى ، وما فى خِزَانَتِى من مالٍ وَقفٌ على قِتَالِ هؤلاءِ الدُّخلاَءِ .

وقال أَميرُ «بُوتُو» : أَمَّا أَنَا فَسَأُدَبِّرُ لَكُمُ الرِّجَالَ، وما تحتاجُون إليه من أَقْوَاتٍ وخِيَامٍ.

وصاحَ سقنن رع فى سُرُورٍ زَائِدٍ قَائلاً : بُورِكَ فِيكُم يا أُمَرَاءَ مِصْرَ ... هكذا تَلْتَقِى صُفُوفُنا... وَهَكَذا تَتَوَحَّدُ إِرَادَتُنَا .

حَاربَ الملِكُ الشُّجَاعُ سقنن رع عَدُوَّهُ ، وَسَقَطَ مُدرجًا بِدَماء الشَرَّفِ وَكَانَ لِزَوجَتِهِ (إياح حتب) الفَضْلُ فِى دَفعهِ إِلى سَاحَةِ الشَّرفِ ، وَشَجَّعت ابنَهَا الأكبرَ (كاموس) عَلَى مُواصلَةِ الحَربِ ، وَانْتَصَرَ عَلَى الهكْسوسِ . وطهَّرَ الصَّعِيدَ مِنهُمْ، ثُمَّ تُوفِّىَ ، وَخَلَّفَهُ أَخُوه الشَّاب (أحمس) الذِى كَرَّسَ حَياتَهُ لِخْدمةِ وَطَنهِ.

وَزَحَفَ جَيْشُ مِصْرَ بِقِيَادَةِ أحمس ، من طيبَةَ إِلَى الشَّمَالِ ، وَكُلُّ جُنْدِىٍّ فى هذا الْجَيْشِ مُتَحَمِّسٌ لِلقاءِ هؤلاء الدُّخلاءِ ، مُتَعَطِّشٌ إِلى الفَتْكِ[1] ، بِهِمْ ؛ لِيُخَلِّصَ بِلاَدَهُ مِنَ الذُّلِّ الذِى لَحِقَهَا ، والعارِ الذى خَيَّمَ عَلَيْها .

وَمَا أَنِ الْتَقَى جَيشُ «أحمس» بِهؤُلاءِ الرُّعاةِ الدُّخلاءِ ، حتى انْدَفَعَ نَحْوَهُم اندِفَاعَ الأَسَدِ نَحْوَ فَريسَتِهِ وانقضَّ عليهم انْقِضَاضَ الطَّيرِ الجارحِ على صَيْدِه . وَأَمَامَ هذه الصُّفُوفِ الزَّاحِفَةِ ، لم يَجِدْ هَؤُلاءِ الدُّخلاءُ غيرَ الفِرَارِ إلى الشَّمالِ . وراحَ أَحمسُ يُطارِدُهْم حتَّى اقْتَرَبَ مِنْ عَاصِمَةِ مُلْكِهِمْ «أواريس».

وَأَمامَ هذه الإِرادَةِ الصُّلْبةِ والْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ لم يَسْتَطِعْ مَلِكُ الهُكسوسِ غيرَ الْهَرَب من وجه الجيش المصرى ، وعاد من حيث أتى .

وَأَنْقَذَ «أَحمسُ» مِصْرَ الْقَديمةَ كُلَّها مِنْ هَؤُلاءِ الْمُغيرين الدُّخَلاءِ ، بَعْدَ أَنْ جَمَعَ الكَلِمَةَ وَوَحَّدَ الصُّفُوف وَالجُهُودَ .

(١) الفتك: الهلاك.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) ماذا تعرف عن الهكسوس؟ ومن أين أتَوْا؟ ولماذا؟

٢) كيف حكم الهكسوسُ مِصْرَ ؟

٣) لماذا غضبَ " سقنن رع " وأمر بأن يجتمع به أمراءُ مملكته؟ وما القرارُ الذى اتخذهُ؟

٤) ما أهمُّ تراثٍ تركهُ لنا أجدادُنا الفراعنةُ؟ وما واجبنا نَحو هذه التركةِ؟

٥) **تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فيما يأتى :**

أ- أحمس: (قائد الجيش المصرى – قائد الهكسوس – قائد الفرس)

ب- الصفوف الزاحفة هى صفوف (الهكسوس – المغول – المصريين).

٦) **أكمل من العمود (أ) بما يناسبه من العمود (ب) :**

(أ)	(ب)
أ- لمَّا كان حكم الهكسوس ظالمًا	١. جيشه ليحرِّر البلاد من الهكسوس
ب- كان " سقنن رع" يزيد من قوةِ	٢. لِيُوحِّدَ كلمةَ أمراء مصر
ج- عقد " سقنن رع " اجتماعًا	٣. ثار عليهم المصريون فى كل مكان
د- أعاد " سقنن رع " قصة أفراس النهر	٤. لِيُواجِهَ العدوَّ فى الشَّمال
هـ- قادَ أحمسُ جيشَهُ	٥. أمير قفط
	٦. على الأُمراءِ لِيُحَمِّسهُم

فى القَرْنِ السَّابعِ قَبْلَ المِيلادِ تَدَاعَت[١] دَوْلَـةُ آشُورَ، وَكَانَـتْ دَوْلـةُ الْفُرْسِ الورِيثَـةَ الشَّرعِيَّةَ لهذهِ الإمْبِرَاطُورِيَّةِ المُتَدَاعِيةِ . وَبَدَأَ (قمبيزُ) يَحْلمُ بدُخولِ مِصْرَ . فراحَ يُعِدُّ جَيْشًا كَبِيرًا هَجَم بِهِ عَلَى مِصْرَ . وَكَانَتْ لَهُ الجَوْلَةُ الأولَى[٢] .

جاءَتِ الأنباءُ إلى الفُرْسِ أَنَّ المِصْرِيِّينَ مُصَمِّمُونَ عَلَى الدِّفَاعِ وَالاسْتِمَاتَةِ[٣] وَمُصِرُّون على أَنْ يُكَبِّدُوا الفُرْسِ أَكْبَرَ الْخَسَائِرِ فِى كُلِّ شِبْرٍ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ الْغَالِيةِ .

أَرادَ قَمْبيزُ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى السِّيَاسَةِ وَالْخَدِيعَةِ ، فأَمَرَ بِتَجْهيز سَفينةٍ ، تَتَّجِهُ نَحْوَ «مَنفَ»، وَعَلَيْهَا مُنَادٍ، وَرَفَعَ لافِتَةً فَوْقَ صَارِيهَا[٤] لِكَىْ يُطَمْئِنَ المِصْرِيِّين إِلَيهِ ، طَالبًا مِنْهُمُ التَّسْلِيمَ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ وَمِنَ غَيْرِ قَيْدٍ أَوْ شَرْطٍ ، وَأَخذَتْ هذه السفينةُ تَنْتَقِلُ من قريةٍ إِلَى أُخْرَى ، والمصريُّونَ يُشَيِّعُونَهَا بِنَظَراتِ الْحِقْدِ وَالسُّخْريةِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى «مَنْفَ».

وَلَمَّا وَجَدَ «الفُرْسُ» أَنَّ المِصْرِيِّينَ لا يُقِيمُون لها وَزْنًا[٥]، أَرْسَلَ قَمْبِيزُ إِلَيْهِمْ رِسَالةً يقولُ فِيهَا :

«أَنا قَمْبيزُ» .. لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ لإِرْغَامِكُمْ فَإِنِّى أَوَدُّ زِيارَتَكُمْ .. لا حَرَجَ عَلَيْكُمْ إِذَا أَرَدْتم الحُضورَ إِلَيَّ .. تَعالَوْا إِلىَّ. «أَنا الَّذىِ سَيَمْنحُكم[٦] مَجْدًا أَكْثَرَ ممَّا تَتَمَتَّعُونَ بِهِ الآنَ. أَكْتُبُ إِليكم هَذَا وأُذيعُهُ عَلَيْكُمْ ، فإِذَا اسْتَمعْتُم إِلَيْهِ كانَ خَيرًا لَكُمْ . وَإِلاَّ فَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لمُلاقاةِ غَضَبِى الذى سَيَنْصَبُّ عَلَى رُءُوسِكُمْ ، إِنِّى سَيِّدُ الأَرضِ كلِّها» .

وهذه الرِّسَالةُ التى أَذَاعَهَا رَسُولُ «قمبيز» لَمْ تُضْعِفْ مِنْ عَزيمةِ المِصْرِيِّينَ ، بَلْ عَلَى العَكْسِ زَادَتْهُمْ حَماسَةً على حَمَاسَتِهِمْ وأَخَذُوا يتشاورُونَ فِيما يَفْعَلُون واسْتَقَرَّ رَأْيُهُم بِطَبِيعةِ الحالِ على رَفضِ طَلَب التَّسليمِ.

---

(١) تداعت : تصدعت وانهارت.
(٢) الجولة الأولى: الغلبة.
(٣) الاستماتة: الصبر والثبات فى الدفاع.
(٤) الصارى: عمود يقام فى السفينة يشد عليه الشراع.
(٥) لا يقيمون له وزنا: المقصود: لا يهتمون.
(٦) سيمنحكم : سيعطيكم.

عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا هُمْ أَيضًا بِرسَالَةِ تَهْدِيدٍ إِلى الْمَلِكِ الْفَارِسِىِّ جَاءَ فِيهَا :

«نَكتبُ إِليك أَيُّهَا الجَبانُ الرِّعديدُ[1] «قَمْبِيزُ» لَقَدْ تَرَكْنا رَسولَكَ يَذْهبُ بِسَلامٍ ، لاَ خَوْفًا مِنْكَ، بَلِ افْتِخَارًا بِتقَالِيدنَا الْمَجيدَةِ وَلكِنْ إِذَا آثرتُم سُخْطَنَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَا نَحْنُ فَاعِلونَ بِكُمْ .

وَمَا دَامَتِ الأَنْهَارُ تَفِيضُ بِمِيَاهِهَا .

وَمَا دَامَتْ مَمْلَكَتُنا مُوَطَّدَة[2] الدَّعَائِمِ والأَرْكانِ .

فَسَوفَ تَعلمُ يا «قَمْبِيزُ» مَا سَيَحِلُّ بِكَ» .

ولَمَّا عَادَ الرَّسولُ وسلَّمَ سَيِّدَهُ قَمْبِيز رِسَالةَ المِصْرِيِّينَ طَلَبَ رِجَالَهُ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ:

« أَيُّها الْمَلِكُ قَمْبِيزُ : المصريُّون مُدَرَّبُونَ على الحُرُوبِ ، لاَ تُهاجِم المِصْرِيِّينَ ... أَرْسِلْ إِليهم رُسُلاً يَطُوفونَ بِأَنحاءِ البلادِ وَيَتَحَدَّثونَ باسمِ فِرْعَوْنِ مِصْرَ ، وَيَتَحَدَّثُونَ حَديثًا مَعْسُولاً يُنَاشِدُون بِهِ الشَّعْبَ أَنْ يَجْتَمِعُوا فى وَلِيمةٍ دُونَ سِلاَح ، حَتَّى تُبْعِدَ فِكرَةَ الْحَرْبِ مِنْ تَفْكِيرِهِم ، فَإِذَا اجْتَمَع شَمْلُهم فَسَيَرَى سَيِّدُهم أَنَّ هُنَاكَ سَيِّدًا آخَر قَدْ صَارَ بِيَدِهِ الأَمرُ ، فَيَسْتَوْلِى عَلَيْهِ الخَوْفُ وَاليأْسُ ، وبذلك تَخْضَعُ لَكَ الْبِلادُ « .

اسْتَمَعَ قَمْبِيزُ إِلَى هَذِه النَّصيحَة ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ يُبَلِّغونَ المصرِيِّين أَمرَ هَذه الولِيمَةِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الدَّاعِى لَهَا هُوَ فِرْعَوْنُ الذى أَفْضَى إِلينَا بِأُمور خاصَّةٍ ستَحدُثُ هَذا العامَ . ولمْ أَشأْ أَن أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ بِشَأْنِها، بَلْ فَضَّلْتُ أَن تَحْضُرُوا بِأَنفُسِكُمْ . وَمَن امْتَنَعَ عَنِ الحُضورِ ، فَستُصِيبُه لَعْنَةُ الإِلهِ وغَضبُهُ . وأَمَّا مَنْ يُلبِّى ويحضرُ ، فَسَتَحِلُّ نِعَمُ الإِلَه عليْه وعلى أَهْلِ بَيْتِه .

وَلَمْ يَنْخَدِعِ المِصْرِيُّونَ بِحِيلَتِهِ، بَلْ عَلِمُوا أَنَّ ذلك مُكِيدةٌ[3] مِنْ أَعْدائِهِمْ للإِيقاعِ بِهِم ، فَحَشَدُوا الجُيوشَ ، وقابَلُوا بِها قَمْبِيزَ ؛ فاتَّجهَ قَمْبِيزُ بِقُوَّاتِه إِلى مَنْفَ، وفتَحَها وغلَبَ «أبسمَاتيك» إلا أَن الشَّعْبَ لَمْ يَلِنْ ولم يَضْعُفْ ، وإِنَّما استَمَرَّ يُنَاضِلُ هذا الدَّخيلَ ويُقاوِمُهُ .

وظَنَّ الفرسُ أَنَّ الأمرَ فى مِصْرَ قد اسْتَتَبَّ لَهُمْ ، وأَنَّ مِصْرَ أَصْبَحَتْ لُقمةً سَائِغَةً أَو فَرِيسَةً سَهْلَةً لَهُمْ .. ولكن المصريين راحُوا يُقاوِمُونَ مُقَاومَةَ الأَبْطَالِ الأَحْرَارِ ، وأَبَوْا أَنْ يَرْكَنُوا إِلى الهُدُوءِ فى ظلِّ هذا الاستعمارِ البَغِيض .

---

(١) الرعديد: يرتعد عند القتال خوفًا.

(٢) وطد الشىء: ثبته ، موطدة الدعائم، أى قوية راسخة.

(٣) مكيدة: خديعة، والجمع مكايد.

كانت قُلوبُهم تَنْبِضُ بِمَجْدِ مصرَ السَّابِق ، وصُدُورُهم تَضْطَرِم[١] بنيرانِ الْكَراهِيَة وَالحِقْدِ لهذا المُسْتَعمِرِ ، فَإِذَا بِهم يَقُومُون قوْمَةَ رَجُلٍ واحدٍ فى وجْهِه ثائِرينَ مُتَمردين[٢] حَتَّى حَوَّلُوا وادى النيلِ إِلى شُعْلَةٍ مُلْتهبَةٍ مِنَ الْكِفَاحِ الشَّعبىِّ المُسلَّح وَكُلَّمَا عَاوَدَ ملك الفرسِ الزحف على مصرَ رده الشعْبُ ذلِيلاً مرة بعد أخرى، وتَحَرَّرت مِصرُ مِنْ بَطْش[٣] فَارسَ ، وَتَبَوَّأَ[٤] المِصْريُّونَ عَرْشَ آبائِهم وأَجدَادِهِم كِرامًا أَعِزَّاءَ فما أَصَابَهمْ يأْسٌ وَلاَ ضَعْفٌ ، بَلْ ظَلُّوا سِنِينَ طَوِيلَةً ، يُكافحُون إمبراطُوريَّةً واسعةَ الأَرْجاء(٥) وَهُمْ صامدون[٦] كالجِبالِ ، حتى طَرَدُوا العَدُوَّ وتَحرَّرُوا مِنْهُ .

---

(١) تضطرم: تشتعل وتتقد.

(٢) متمردين: التمرد العصيان فى عناد وإصرار.

(٣) بطش: البطش القسوة والعنف.

(٤) تبوأ: تبوأ المكان نزله وأقام به.

(٥) الأرجاء: النواحى.

(٦) صامدون: ثابتون مستمرون.

المناقشة

أجب عن الأسئلة التالية :

١) متى تداعت دولة آشور ؟ وما الدولة التى خلفتها ؟

٢) متى تَمَّ احتلال الفرس لمصر؟ وما موقفُ الشعب المصرى من ذلك ؟

٣) أرسل قمبيز رسالة تهديد للمصريين . فبم ردوا عليها ؟

٤) لماذا صنعَ قمبيز وليمةً للمصريين؟ وما موقفُ الشعب المصرى منها؟

٥) ما الأسلحةُ التى كانت تستخدم فى الحروب القديمة؟

٦) **تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين:**

أ- كان رسول قمبيز يحملُ للمصريين رسالة : (تهديد – صلح – انسحاب).

ب- لم يقتل المصريون رسول قمبيزَ :

(خوفا منه – افتخارًا بالتقاليد المصرية – لعدم تمكنهم منه).

٧) **صل ما فى العمود (أ) بما يناسبه فى العمود (ب):**

(أ)	(ب)
أ- قامت دولة الفرس	١. لطموحات قمبيز
ب- كانت مصر هدفا	٢. الجيوش الفارسية عدة مرات
ج- هزمت القوة الشعبيةُ المصريةُ	٣. فى القرن السابع قبل الميلاد
د- تم النصر للمصريين.	٤. بفضل اتحادهم وثقتهم بأنفسهم
	٥. لا قبل لهم بحروب العدو.

صلاح الدين يحارب الصليبيين

جَاءَ الغُزَاةُ إِلَى مِصْرَ لِيَدخُلُوا أَرضها . ويَسْتَعْبدوا أَهْلَهَا . ويُحَطِّمُوا كِيَانَهَا[١] فَمَا لانَتْ مِصْرُ... وَمَا رَضِى شَعْبُهَا ، وَمَا خضَعَتْ ، وَمَا اسْتَكَان[٢] أَهْلُهَا. بَلْ وَقَفَتْ يَا وَلَدِى فى وَجْهِ الغُزَاةِ وَقْفةَ رَجُلٍ واحدٍ.

جَاءَ الصَّلِيبيُّونَ مِنْ أورُبَّةَ يُوَجِّهُونَ حَمْلاتِهِمْ على الشَّامِ وآسْيَا الصُّغْرَى ، وَظلَّتْ ضَرَباتُهُمْ تَتوَالَى فى شدَّةٍ وَقوَّةٍ ، قَرَابةَ قَرْنَيْنِ منَ الزَّمَان ثُمَّ سَوَّلَتْ[٣] لهم أَنفُسُهُمْ أَنْ يَهْزِمُوا مِصْرَ كَمَا هزَمُوا غَيْرَها مِنْ قَبْلُ .

ولكن شَجَاعَةَ جُنودِ مِصْر ، وإِيمَانَ أَبْنَائِها ، وعزِيمَةَ رِجالهَا أفْسدَتْ عليْهِم كُلَّ شَيْءٍ .

لَقَدْ وَقَفَ شَعبُنَا الخالِدُ يا وَلدى فى عَزْمٍ وَإِصْرَارٍ أَمامَ أَسْرابِ الصَّلِيبيِّينَ التى جَاءَتْ مِنْ بريطَانْيَا وَفَرنْسَا والنِّمْسَا ، وَمِنْ كُلِّ مَكَانٍ فى أوروبا.

وقفَ شعبُنَا وَقْتئذٍ صَفًا واحدًا، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَمْلةَ رجُلٍ واحد ، وَمَعَ أَنَّهُم يا وَلَدِى جَاءُوَا لِقتَالِنا فقد كانَ صلاحُ الدين الأيُّوبىُّ شَهْمًا نبيلاً فى مُعَامَلَتِهِم حِينَمَا فَتَح الله عليه بَيْتَ المقدسِ سنة ٥٨٣هـ كان يُحْسِنُ مُعاملةَ أَسراهُمْ ، ويَدْفَعُ الغَرَامَةَ الْحَربيَّةَ عَنْ فُقَرائِهِمْ ، ويُعْفِى مِنْهَا نِساءَهُمْ وَأَطْفَالَهُمْ . علَّمَهُم صَلاحُ الدِّينِ يا ولَدِى ، كيفَ يُقَاتِلُ فِى شَهَامَةٍ ونُبْلٍ ، لَقَدْ حَدَثَ فى إِحْدَى المعارك أن فَقَدَتْ امرأةٌ مَسيحيَّةٌ طِفْلَهَا، فَذَهَبَتْ إِلَى صَلاحِ الدِّينِ تَبْكى وتَصْرخُ ، وَهى تَرْوى قصَّة طِفْلها ، فَرَقَّ قَلْبهُ ، وَفَاضَتْ دُمُوعُهُ وَأَمر بَالبَحْث عَنِ الطِّفْلِ فى كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى عَثَرَ عَلَيْهِ وسَلَّمَهُ لأُمِّهِ قَائِلاً : إِنَّنَا نُحَاربُ قَوْمًا طَلَبُوا حَرْبَنَا ، وَلَسْنَا نُحَاربُ النُّبْلَ والإِنْسَانِيَّةَ .

هذه يا ولدى قصَّةٌ تَكْشِفُ عن شَعْبِنَا المُحبِّ للسَّلامِ ، يُسَالِمُ مَنْ يُسَالِمُه . ويُعَادِى مَنْ يُعَادِيه وإِذَا حَارب فَلَهُ تَقَاليدُ إِنْسَانِيَّةٌ نبيلةٌ .

واقعةُ المنصورة :

وبعدَ أن هَزَمَ «صلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِىُّ» ، جَيْشَ الصَّلِيبيِين هَزِيمةً مُنْكَرَةً فى وَاقْعَة حطِّينَ ، أَرادَ

---

(١) كيانها : وجودها.

(٢) استكان: استسلم وخضع وذل.

(٣) سولت لهم أنفسهم: حببت إليهم، وأغرتهم ، وسهلته.

الصليبيُّون أَنَ يَثْأَرُوا منهُ[1] لهذهِ الهزيمةِ التاريخيَّة الكُبْرَى، فَجَهَّزَ[2] «لويسُ التاسعُ» ملكُ فرنسا حمَلة صَلِيبيةً جَديدةً لِغزْوِ الشَّرْق مرَّة ثانيةً.

وجاءَت هذه الحَمْلةُ الصليبيةُ، وعلىَ رأْسها ملكُ فَرَنسَا ، واستولَتْ على دمياط ، وبَقَيت فيها ستة أَشْهُرٍ ؛ ليستكْمِلَ لويسُ مُعَدَّاتِ حملته قبلَ استئناف زَحفِهِ فَمَا كانَ مِنَ المِصْريين إلاَّ أَنْ جَمَعُوا شملَهم ووحَّدوا أَمْرَهُمْ مُنْتَظرين ساعةَ الَجهادِ والقِتَال.

وبينما كان الجيّشُ الصَّليبىُّ يستعدُّ للزحْف على المَنْصُورة، تُوفِّى المَلِكُ الصالحُ ملكُ البلاد ؛ فعظُمَ الخَطْبُ[3]على زَوْجَتِه «شجر الدر» فى هذا الوقتِ العَصيب[4] .

وقرَّرَتْ شجر الدر أَنْ تَكْتُمَ[5] نبأَ وفاةِ الملكِ عَنِ الناسِ جَميعًا ، فلا يَعلمُ به أحدٌ ، وأَنْ تَنْهضَ هى بتصريفِ شئونِ الملكِ ، وتدبيرِ أمرِ الحرْب ، وإِصدارِ الأوامرِ باسم زَوْجِهَا إِلى قيادَةِ الْجيشِ ، حتَّى يَعودَ ابنُه « تُورَانْ شاه» وَارِثُ العَرْشِ من غِيابِهِ وأَعلنَتْ أَن الملِكَ مَريضٌ لا يستطيعُ أَن يستقْبِل أَحدًا .

وبدأَتِ المعركةُ الكُبَرى، التى اشْتَركَ فيها الشَّعْبُ والجَيْشُ ، وَخَرجَ فيها أَبناءُ المنصورةِ رجالاً وَصِغَارًا ، يُحاربُونَ ملكَ فَرَنْسَا وجنودَهُ فى الشوارعِ والطُّرقاتِ، ومنْ فَوْقِ المنازِلِ ، بعد أَن تحصَّنُوا داخِلَ المدينةِ بإقامةِ الحواجزِ والمتاريس[6]

وَهُزِمَ الجيشُ الْفَرَنْسِىُّ الكبيرُ هزيمةً أخرى مُنْكَرَةً، وَقُبِضَ على ملكِ فَرنْسا، و أَمَرَتْ شجر الدر بِسَجْنِه فى دارِ ابن لُقمانَ بالمنصورة ، ثُمَّ أُخْلِىَ سبيلُه بعدَ أَنْ دَفَعَ فِدْيةً كبيرةً تعويضًا عمَّا أَحْدَثَهُ جُنُودُهُ من تَدْمِيرٍ وتخريبٍ فى البلادِ .

المغولُ يُدَمِّرُون حضارةَ العالمِ

وما حدَثَ يا وَلَدِى مَعَ الصَّلِيبيِّين حدَثَ مع المَغُولِ ... فَفِى القرنِ الثالِثَ عشرَ الميلادىِّ انطلقَ

---

(١) يثأروا منه: يقتلوا من رجاله مثل ما قتل رجالهم.

(٢) جهز : أعَدَّ.

(٣) الخطب: المصيبة.

(٤) العصيب: الشديد.

(٥) تكتم : تستر.

(٦) المتاريس: ما يوضع فى طريق العدو لعرقلته، مفرده: متراس.

المَغولُ ، وهمْ قوم استوْطَنُوا بـلادَ منغولْيَا شَمالِيَّ الصين ، يحاربُونَ إمبراطوريـةَ الصينِ ويلتهِمُونَهَا جُزْءًا بعد جُزْءٍ ورُكنًا بعدَ ركنٍ .

انطلقُوا ينـدفِعُون كالسَّيلِ الجـارفِ جنوبىَّ الغرب ، فاستولَوْا علـى إيران فـى غيرِ جَهدٍ ، ثم أَرسـلَ قائدُهم «هُولاكو» إلى الخليفةِ العبَّاسىِّ ، طالبًا منهُ الْخُضُوعَ والاسْتِسلامَ ، فردَّهُمُ الخليفةُ فى كبرياء[1] فـانطَلَقُوا بجيشِهم الجَبَّارِ مُكْتَسِحِينَ أَرضَ العِراق حتى وصَلُوا إلى حُدودِ بغدادَ، كعْبَةِ العلماءِ ودُرَّةِ[2] الإِسْلاَمِ ، ثم أَطْبَقُوا عليها من الشّرقِ وَالغرْبِ ، ونصبُوا حولَهَا المجَانيقَ[3] تقذِفُها بالسِّهامِ والصَّواعِقِ حتى سلَّمَتْ بغدادُ ، وانْطَلَقُوا فيها تَدْمِيرًا وتَخْرِيبًا.

وانْتَهَتْ بذَلكَ حياةُ الدَّولَةِ العباسِيَّة ، بهذِهِ النِّهايَةِ المؤْلِمةِ ، بَعْدَ أَنْ عاشَتْ خمسةَ قرونٍ كاملةً ، بلغَتْ فيها الحضارةُ العربيَّةُ أَعلى مرَاتِبها .

ولمْ يَقْنَعْ المغولُ بذلك . بل استولَوْا على الشامِ فى غيرِ عَنَاءٍ [4] ، وأَصبحَ سلطانُهم يمتَدُّ من قَلْبِ الصِّينِ حتَّى حدودِ مِصرَ .

مِصْرُ تُوقِفُ السَّيْلَ المَغولِىَّ

واقتربَتْ جيوشُ المغولِ من مِصْرنا الحَبيبةِ ؛ لِتَدُقَّ أَبْوابَها دقًا عنيفً[5] فى غَيْرِ رَحْمَةٍ ولا شفَقَةٍ .

جـاءُوا إِلَيْنَا وفـى اعتِقَادِهِم أَنَّ مصـرَ ستُسَلِّمُ لهُمْ كما سلَّمَتْ غيرُها من البُلدانِ .. وعندئذٍ تتحقَّقُ السِّيادةُ لهمْ على الشرْق العربىِّ كلِّهِ .

وهُنَا يا ولدِى أَبَى شَعْبُ مصْرَ المجيدُ أَن يخضعَ أَو يَلِينَ .. أَبَى أن يُسَلِّمَ أَو يَسْتَسْلِمَ ، وعزَمَ على أَنْ يَقِفَ فى وَجْهِ هؤلاءِ الغُزَاةِ فى عَزْمٍ وقوةٍ وإيمانٍ ، تحتَ زعَامةِ «قُطُزُ» حاكم البلاد وقْتَئذٍ الذى راحَ يُعِدُّ نفسَهُ لهذا الجِهاد الشاقِّ الْمَرِير .

وخـرجَ « قُطُزُ» علـى رأْسِ الجيشِ ، تتقدمُهُمُ الطُّبُولُ ، وتُنْفَخُ أَمـامَهُمُ الأَبـواقُ ... وجنـودُ مصـرَ

---

(١) كبرياء: عظمة وعدم خضوع.

(٢) الدرة: اللؤلؤة الكبيرة العظيمة.

(٣) المجانيق: جمع منجنيق: آلة حربية قديمة ترمى بها الحجارة.

(٤) عناء: مشقة.

(٥) عنيفًا: شديدًا.

مُتَحَفِّزَةٌ لِلقاءِ هَؤُلاءِ الغُزَاةِ ، وفى قُلوبهم حَمِيَّةٌ، وفى نُفُوسِهِمْ حَمَاسٌ شَدِيدٌ .

واحتَشَدَ الجَيْشَانِ ، كلٌّ فى مواجَهةِ الآخَرِ ، وقُرِعتِ الطُّبُولُ ، ونُفِخَتِ الأبواقُ . وكُتِبَ لِقَرْيَةِ «عَيْنِ جالوت» أنْ تَشْهَدَ الصراعَ العنيفَ الذى لا يُحَدِّدُ مصيرَ مصرَ وحدَهَا ، بل مَصِير العالمِ المُتَمَدْينِ كُلِّه .

واصْطَدَمَتْ فُرْسَانُ المغولِ الطائرَةُ بالجنودِ المشاة المصريينِ الرَّاسخةِ الأقدامِ ، وعندما ضغطَ المغولُ على قلْب الجيشِ نُفِّذَتْ خُطَّة التظاهُرِ بالانكسار والفَرار ، فحدثَتْ الثَّغْرَةُ ، وانْدَفَعَ إليها المغولُ بقوةٍ حتَّى قطَعوا فيها مسافةً مُنَاسِبَةً . ولما حَلَّتِ اللَّحْظَةُ الحاسِمةُ عاد الفارُّون ، وبادرَ السلطانُ إلى استئنافِ الهجُومِ ، بِعَزْمٍ راسخٍ ، وَهُوَ يَصيحُ : «واإسْلاَماه» ، وأيدتْه قواتُ الجانِبيْنِ بِشدَّةٍ وعُنْفٍ ، فاختلَّ توازُن المَغُولِ وانفصلَتْ صُفوفُهُمْ ، وارْتَدُّوا نَحْوَ التِّلالِ الْقريبةِ .

وهنَا حلَّ دَوْرُ الفُرْسانِ ، فانقضَّ الأميرُ بيبرسُ بفرسانِهِ وَسْطَ قَرْعِ الطُّبولِ القاصِفِ وَارْتَفَع الهُتَافُ «الله أكبرُ» من بين الصفوفِ كالرّعْدِ يَشُقُّ عَنَانَ السَّماءِ[1] .

واستمرَّتِ المعركة من الصَّبَاحِ حتَّى الظهر ، وَوَجَدَ المغولُ أَنْفُسَهُمْ يُلاَقونَ الضَّربَاتِ ، الواحدةَ بَعْدَ الأخرى دونَ رحمةٍ أو شَفَقَةٍ .

ولمْ يَتوان[2] «قُطُز» بعد ذلكَ عَنْ مُطاردةِ الجيْشِ المغوليّ المهزومِ حتَّى طهَّر أرضَ الشامِ مِنْهُ .

لقدْ كانَ يومُ «عَيْنِ جالوت» يَوْمًا مَجِيدًا... كانَ يومًا خالدًا ، لا فى تاريخِ مصر وَحْدَها بَلْ فى تاريخ العالَم كُلِّه ، والمدنَيةِ بأسرها[3] . لقدْ كانَ هذا السَّيلُ المغولى المُدَمِّر يُنْذِرُ بالخرابِ والدَّمارِ كلَّ مكانٍ حلَّ بِهِ .

وَلَوْلا أَنَّ شعبَ مِصرَ يا ولدى ، آمَنَ بِنَفْسهِ ، ووقفَ فى وجْهِ المغولِ لانْدفعوا إلى الغربِ والأندلُسِ وأوروبا ، مُخَرِّبين مُدَمِّرين .

هكذا هُزِمَ الطُّغَاةُ ، وتَحَطَّمَ البُغاةُ ، وتَشَتَّتَ شَمْلُ الغُزاةِ ، وكانَتْ مصرُ مَقْبَرَةً لِلصَّليبيين والمَغُول.

---

(١) عنان السماء: ما يبدو من السماء للناظر إليها.

(٢) لم يتوان : لم يُقَصر ، ولم يفتر.

(٣) بأسرها: المراد : جميعها.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) لماذا جاء الصليبيون إلى مصر؟ وما موقفُ الشعب المصرى من هذه الحملات؟

٢) متى استردَّ صلاح الدِّين بيتَ المقدس من الصليبين؟

٣) ماذا تعرف عن أخلاق صلاح الدين؟

٤) كان لانتصار صلاح الدين فى حطين رد فعل من الصليبيين. وضح ذلك.

٥) ما الدورُ التاريخى الذى لعبته شجر الدر فى موقعة المنصورة؟

٦) ما نتيجة خطة التظاهر بالانكسار أمام المغول ؟

٧) كان صلاحُ الدِّين الأيوبى شهمًا نبيلاً فى معاملة الأعداء . وضح ذلك

٨) **صل من العمود (أ) ما يناسبه من العمود (ب):**

(أ)	(ب)
أ- مصرُ صخرةٌ تحطمت عليها	١. وريثُ عرش الملك الصالح.
ب- توران شاه	٢. أشجعُ امرأة عرفها التاريخُ
ج- شجر الدر	٣. أحلامُ الغزاةِ
د- هُزِم لويس وسُجِن	٤. فى القرن الثالثَ عشرَ يخربون العالمَ
هـ- انطلق المغولُ	٥. يحب شعب مصر
	٦. فى دار ابن لقمان بالمنصورة

(١) المقاومةُ فى الإسكندريةِ والقاهرةِ

مضَت الأيَّامُ، وإذا بمصر تُصَابُ بِكَارِثَةٍ جديدةٍ ؛ لقدْ جاءَ إليْهَا نَابُلْيُونُ بونابرت غَازِيًا بجيشٍ كبيرٍ .

وَقَبْل نُزُولِهِ إلى الإسكندريةِ أرسلَ رسولَهُ إلى السيِّد مُحَمد كُرَيِّم زعيمها وقتئذٍ ، يُؤَمِّنُهُ على مَرْكَزِهِ ، ويعرِضُ عليه البقاءَ فى مَنصِبهِ إذا هُوَ سَاعدَ الجيوشَ الْفَرَنسْيَّةَ على النُّزولِ إلى أَرض الْوَطَنِ .

ولكنَّ هذا البطلَ المصرىَّ لم تَخْدَعْهُ هذِه الألفاظُ البرَّاقةُ ، وأَبى أَنْ يترك بلادَهُ فريسةً لِهذا الأجنبىِّ الغاصِبِ ، أَبَى أَنْ يُلْقِى سِلاَحَهُ مِنْ يَدِهِ ، وعادَ يُكَافحُ على رأسِ بَقيةٍ مِنَ الأَحْرَارِ المجاهدين ، حتَّى قَبَضَ عَليهِ رجالُ نَابليون، وأرسلوهُ للقاهرةِ لمُحَاكَمته .

ولمْ يَسَعْ نابليونُ إلاَّ أَن أَوْحَى إلى المجلس العسكرىِّ الذى شُكِّلَ لمحاكمتهِ أَن يَحْكُم عليه بالقَتْلِ رَمْيًا بالرَّصاص ، مَعَ مُصَادرةِ أَموَالِه وأَملاكِهِ ، على أَنْ يَكونَ لَهُ الحقُّ فى افْتِداءِ نَفْسِه بِثلاثين ألفَ رِيال. وصدرَ الحكمُ كَمَا أَرادَ نابليون.

واتجهت أنظارُ المصريين بعد ذلك إلى زعماءَ يثقونَ بِهم وَيَعْمَلُونَ بِرأْيِهم وَيَهتدُونَ بِهَدْيِهم ، فكانَ السيدُ عُمر مكرم فى طَليعَةِ هؤُلاءِ القادةِ والزُّعماءِ.

ولم يكُنْ عمرُ مكرمُ بالزعيمِ الذى يَنْتَظِرُ دَعْوَةً أَوْ هُتافًا ، بَلْ رَأَى أَن الواجبَ يُنَادِيه إلى الْعَمَلِ ، وإلى مُكَافَحَةِ هذا العَدُوِّ ؛ وَمُجَابَهَةِ هذا الخَطَرِ ، فَتَقَدَّمَ الصفوفَ وراحَ يُذْكِى الوطنيَّةَ فى الصُّدورِ ، ويُنَظِّمُ الصُّفُوفَ فى كُلِّ حَىٍّ وفى كلِّ مكَانٍ .

وآمَنَ نابليُونُ أَنهُ أَمامَ شعبٍ عَنيدٍ ، لنْ يَسْكُتَ حتَّى تَعُوَد له حُرِّيتُهُ واستقلالُهُ ، ويَجْلُوَ الفرنسِيُّون عَنْ أَرْضِهِ ، وَأَنَّهُ لَنْ تهدأ ثورةُ هذا الشعب إلاَّ إِذَا تَحَقَّقَتْ مَطَالِبُهُ كامِلَةً . وأَدركَ «نابليونُ بونابرت» أَنَّهُ لنْ يَسْتَتِبَّ[1] لهُ الأمرُ وشعبُ مصر على هذهِ الحالِ.

وَغادرَ «بُونابرتُ» مصرَ خفيةً فى أَغسطس ١٧٩٩م عندما عَلِمَ بتدهْوُر مَرْكَزِ فَرَنْسا الْحَرْبىِّ فى أوروبا ، وأَمَرَ نَابِلْيُونُ أنْ يَكونَ «كلِيبر» قائدَ الفَرنسِيين فى مصرَ من بَعْدِه ، ولمْ يَكُن نابليون بونابرت قَدْ قابَلَ «كلِيبَرُ» قبل سفرهِ أَو استشارَهُ فيما فَعَل ، فكان غَيْظُ «كلِيبَر» عَظِيمًا وَغَضَبُهُ شَدِيدًا ، عِنْدَمَا عَلِمَ بهذِهِ الْحَقِيقةِ .

---

(١) يستتب له الأمر : يستقر ويهدأ.

وَفـى عَهْد كليبر عـادَ المصريُّون للكفَاحِ مِن جَدِيدٍ فَإِذَا بثَورةٍ عَنِيفةٍ صـادرةٍ مِن أعماقِ القُلُوبِ ، تَنْبَعِثُ من القاهرةِ مرةً ثانيةً .

وَلَقَدْ وصفَ المؤرخونَ الأجانبُ كِفَاحَ شَعْبِنا الْمصْرىِّ المجيدِ فى هذه الثورةِ بأَنَّـهُ فاق كلَّ حَدٍّ إذْ تعاونَ الجميعُ رجالاً ونساءً كِبارًا وصِغَارًا وجادَ كلُّ فردٍ بِأَكثَر مِمَّا يَسْتَطِيعُ . فَهَذِهِ سيِّدةٌ تجودُ بِحليِّهَا ... وهذِهِ عَذْرَاءُ تجودُ بِمَهْرِهَا ... وهذا ثَرِىٌّ يَجُوُد بِأَرضِـهِ ، وَهذا مُوَاطِن يَجوُدُ بِنَفْسِهِ ورُوحِه . لَقَدْ قَامَ أَهلُ القاهرةِ بما لا يستطيعُ أَحدٌ أَنْ يَقُومَ بِه ، فَقَدْ صنَعُوا الْقَذَائِف من حَديدِ المساجِد ، حتَّى النساءُ لَمْ تكتَفِ الواحدةُ مِنْهُنَّ بِالقِيَامِ بِخِدْمَةِ الثُّوَّار وإِعدَادِ الطَّعامِ لَهُم ، بَلْ كُنَّ يأَخُذْنَ جُنودَ فَرَنْسَا قَهْرًا إِلى المنازِلِ القريبة للقضاء عليهم وَدَفْنِهم تَحْتَ الثَّرَى .

بهـذه الْحَمَاسَـةِ الشـديدةِ ، والتعـاون العظـيمِ ، والوطنيَّـةِ الصَّـادِقَةِ الْمُشْـتَعِلَةِ فـى الصُّـدُور ، دَافـع المواطِنُـونَ عـن القـاهرةِ دِفَاعًـا مَجِيدًا مُشَـرِّفًا ، وكَتَبُـوا بِـدمَائهم الطـاهِرَة قِصَّـةَ البطولَـة الحَقَّـةِ وصَـمَدُوا للمستعمرين سَبْعَة وثلاثين يَوْمًا ، ولكنَّ الغَاصِبَ الْمُسْتَعْمِر كانَ قدْ حَاصَرَ مَنَافِذَ القَاهِرةِ بالمدافع الثَّقِيلَة ، وَحَالَ دُونَ وصولِ الأغذيةِ إلى جَمَاهِير الشعبِ ، حتَّى خَيَّمَ شَبَحُ الْجُوعِ على أَهْلِ القاهرة جميعًا وعندَئِذٍ حَمَل المستَعْمِرُ حملتَهُ على المجاهِدِينَ والمكافِحِينَ .

وَمَعَ ذلكَ ظَلَّ الشَّعْبُ ثائرًا ، لا الجُوعُ يُخِيفُه ، ولا الْمَدَافِعُ تُرْهِبُهُ .

(٢) المقاومَةُ الشعبيةُ فى منطقةِ البحرِ الصغيرِ

لَمْ تَقْتَصِرْ مقاومةُ المصريين لجنودِ فَرَنْسا على أهلِ القاهرة وَحْدَها ، بل وجَدَ الفَرَنْسِيُّون من شعبِ مصرَ فى كلِّ مكانٍ ما وجَدوهُ من أَهْلِ القاهرةِ .

لقد انْدَلَعَتْ ثَوراتٌ مَحَلِّيةٌ كبيرةٌ لا حَدَّ لَهَا ، ولا حَصْرَ .

وكـانَ فـى طَلِيعـةِ المنـاطقِ التـى أَبْدَتْ مُقَاوَمَـةً شَـعْبيّةً مَجِيـدَةً يَذْكُرُها التـاريخُ فـى فَخْـرٍ وإِعْجـابٍ ، مِنْطَقَةُ البحر الصغِيرِ الواقعةُ بينَ المنصُورةِ وبُحَيرةِ الْمَنْزَلَةِ ، تحتَ قيادَة زعيمِها الشعبىّ «حَسَن طُوبار» هذا الرجلِ العظيمِ الذى تَرَدَّدَ اسْمُهُ فى رسائِلِ»بونـابرت» ومذكراتِ قُوَّادِه، كرمْزٍ للمُقَاوَمَةِ الشعْبِيَّةِ الْبَاسِلَةِ التى لَقِيَهَا الفَرَنْسِيُّونَ فى أَرْضِ وادِى النِّيل .

كانَ «حسنُ طُوبَار» زَعِيمًا لِمِنْطَقَة المنزلَةِ ، وكانـتْ لـه الزعامةُ أَيضًـا علـى سُكَّان شواطِئ هذهِ البُحَيْرَةِ ... وكَانَتْ لَهُ مَرَاكِبُ صَيْدٍ كَثيرةٌ .

وَلَمْ تَكَدْ تَبْدَأْ حَمْلَةُ بونابرت على هذهِ الْمِنْطَقَةِ حتَّى اتَّصَلَ «حسنُ طوبار» بمشايخ القُرَى والبلادِ وأَهْلِهَا ، وراحَ ينظمُ صُفوفَهم ، ويُثِيرُ الحَمِيَّةَ فى صُدورهِم، وَيُحَرِّكُ فيهم رُوحَ الوَطَنِيَّةِ المتأصلةِ فى أَعْماقِ قلوبهم ، حتى استطاعَ أَن يَستَفِزَّهُم للمقاومةِ والصُّمُودِ ، أمام هذا العَدُوِّ الدخيلِ المستعمِر .

حاولَ الفرنسيونَ أَن يجتذبُوه لصفوفِهِم ، فما ضَعُفَ وما لانَ فاضْطُرَّ الفَرَنْسِيُّون أَن يُرْهِبُوهُ ويُرهِبُوا رجالَه فتحرَّكَتْ حملَتُهُم واتّجَهَتْ إلى بلْدَةِ «الْجَمَّالِيَّة» فى هذه الْمِنْطَقَةِ عن طَرِيقِ البحرِ .

وَمَا أَن وَصل الفَرنْسِيُّونَ بمحاذَاتِها حتَّى وحَلَتْ سفُنُهُمْ فى بحر أشمون من قِلَّة المياهِ فيه ، فانتهزَ الشَّعْبُ هذه الفرصَة وراحَ يُمْطِرُهُم وابلاً من الرَّصاصِ والأَحْجَارِ .

ونَشِبَتْ معركـة عنيفـة دامَـتْ خَمـس سـاعاتٍ ، وانتَهـتْ بِنَصْـرِ الشـعب المِصـرىِّ ، وَانسَـحَبَ الفرنسيُّون ، ولكن بعدَ أنْ تَمَكَّنُوا من إِشْعالِ النار فى هذه البلدةِ وإِحْرَاقِهَا .

كان لانتصارِنا فى المعركةِ يا ولدى أَثَرٌ عظيمٌ ، فقد رَفَعَ ذلك الروحَ المعنويةَ لهذا الشعبِ الثائِرِ ، وشجَّعَهُ على الاستمرار فى الْمُقَاوَمَةِ ، وَزَادَهُ الْتِفَافًا حَوْلَ «حَسَن طوبار» .

وحاولَ الجنرال «فِيال» بعد ذلك أن يجتذِب إِليْهِ حسنَ طُوبار مرةً ثانيةً ... ولكنَّ هذا الرجلَ الكبيرَ رفض هذا العَرْضَ ، هكذا وَقَفَ شَعْبُنا المجيدُ فى إصرارٍ وعزمٍ ، أَمامِ جيشِ فرنْسا وقوادِهَا وجنودِها ... وَقَفَ بَشَجَاعَتِهِ .. وَقَفَ بإيمانِه بحقِّه وبِثِقَتِه بِنَفْسِهِ ، وقَفَ بصبْرِهِ على الشدَائِدِ والمكارِهِ ، فكتبَ لِنفْسِهِ النصْرَ والبقاءَ والخُلُودَ .

(٣) المُقاومةُ الشعبيةُ فى الصعيدِ

(أ) فى نجعِ البارودِ :

بعد أَنْ نَزَلَ الفَرَنْسِيُّونَ أَرضَ مصرَ وَتَغَلْغَلُوا فِيهَا ، وَسَيْطَرُوا على أجزاءٍ كثيرةٍ مِنْهَا ، سارتْ سُفُنُهُم فى نَهرِ النيل ، مُتَّجهةً نحوَ الصعيدِ ، حتى وَصَلَتْ إلى قريةٍ جنوبىِّ قِنَا تُسَمَّى «نَجْعَ الْبَارُودِ».

ومَا إِنْ رأَى أَهلُ البلدةِ سُفنَ العدوِّ حَتَّى غَضِبُوا وثَارُوا ، واندفعوا نحوَهْا اندفاعَ رجُلٍ واحدٍ ، بِرَغْمِ أَنَّ عددَ هذه السُّفنِ قد بلغَ اثْنتى عشرةَ سفينةَ محملةَ بالذَّخيرةِ والأغذية.

نَزلتْ جُموعُ النـاسِ الغاضـبةُ فـى مـاءِ النيل ، سـابحة نحـوَ سُفن العدوِّ ، ووصـلوا إليها وَهَجَمُوا عليها ، واسْتَوْلوا على ما فيها من ذخائِرَ . واستخدَمُوا ما أَخذُوه من بَنَادِق فى مُهَاجَمَةِ البَاخِرَةِ الَّتى كَانَت

تَحّمل القائِد الْفَرَنْسِىَّ ، حتى جَنَحَتْ إلى الشاطئ ، فَتَصاعدتْ صَيْحَاتُ الجماهِيرِ الْغَاضِبة ، وتَوالَتْ طَلَقَاتُ الرَّصَاصِ تُصِيبُ جِسْمَ السَّفِينَةِ .

ولكنَّ القائدَ الفَرَنْسىَّ لَمْ يَشَأْ أنْ يَتْرُكَ سَفِينَتَهُ للِثوّارِ ، فأشْعَلَ النارَ فى مَخْزَنِ البارُودِ وَتَصَاعَدَتْ أَلْسِنَةُ النِّيران فى الجَوِّ .

وَنَزَلَ الثُّوارُ إلى ماء النيل فى أَعْقابِ القائدِ الفَرنْسىِّ .. وأَدْرَكَه أَحدُ الشُّبَّانِ الأَشِدَّاءِ وَهُوَ يُصارعُ الْمَوْجَ ، ثُمَّ حَمَلَهُ إلى الشاطئ وقدْ أَنْهَكهُ[1] الإعْيَاءُ . وَفوقَ الشَّاطئ ، لفظَ هذا القائدُ الفرنسىُّ أَنْفاسَهُ الأخيرة ، وَانْتِقَامًا مِمَّا حَدَثَ تَتَابَعَتْ هَجَمَاتُ الفرنسيين على طول الطريق من أَسوانَ إلى قُوصَ ، وأخذتْ الثوراتُ تَغْزُو الصَّعيدَ كلَّه من الشمالِ إلى الجنوبِ ودبَّتْ حَرِكاتُ المقاومةِ فى كلِّ مكان .

(ب) فى أَبنُود :

وعنِدَ بَلدةِ «أَبنُود» داربتْ مَعركةٌ شديدةٌ بينَ قُواتِ الشعبِ والجُنُودِ الّفَرَنْسيين . وقفَ وَسْطَ هذه الْمَعْرَكِة شابٌّ قَوِىٌّ يُسَمَّى «أحمدُ الأبنُودى» يَدعُو إلى الصمُّود ومُقاومَةِ العَدوِّ قائلاً :

لقدْ عَزِمْتُ على أنّ أَثْأَرَ مِنْ هؤلاء الفرنسيين الذين جاءُوا لاغْتِصاب أَرضِنا وبلادِنا ، حتَّى ولو كان فى ذلكَ مَوْتِى ونِهَايَتِى .

فَمَا كانَ مِنْ أَهْلِ البَلدةِ إلاَّ أَنْ صَافَحُوهُ وعاهَدُوه على المُقَاومةِ والّكِفَاح .

وَخَرَجَ «أحمدُ الأبنُودى» ومَنِ انْضمَّ إليه مِنْ رجالِ البلدةِ لمواجَهَةِ العَدوِّ القادِمِ إِلْيهِم ، وقدْ أَمْسَكَ كُلُّ مِنْهُمِ بِمدْفع حديثٍ مما استولى عليه أهلُ الصعيدِ من الجنودِ الفرنسيين .

وجاءَ الجنودُ الفرنسيُّون بجُنودٍ وَعَتادٍ كثيرٍ ، فَتَحَصَّنَ «أحمدُ الأبنُودى» وَبَعَضُ رِفاقِه فى موقع حَصِين بالبلدةِ ، ورَاحُوا يُطلقون الرَّصاص على العَدُوِّ القادمِ نَحْوَهم .. فمَا كانَ مِنْ جنودِ العَدوِّ إلا أَنْ أَشْعلُوا النارَ فى مَسَاكِنِ البلدةِ فَأَصبْحَتْ كُتلةَ نيرانٍ ودُخَانٍ .

وَظَلَّ «أحمدُ الأبنُودى» يُقاومُ ويُقاومُ سَاعَةً بعدَ ساعة ، وَسْطَ النيران والدُّخانِ ، وكان قدْ احتمَى بِقصرٍ مهجورٍ لأحَدِ الّمَمَاليك وبِمَسجدٍ قريبٍ منه ... وبعدَ فَتْرةٍ غَير قَصيرةٍ تَخُورُ[2] قُوَى الفَرنسيين وتكُفُّ

---

(١) أنهكه الإعياء: غلبه التعب والجَهْدُ.

(٢) تخور: تضعف.

مدافِعُهم عن الضَّرْب وَيَشْرَعونَ فى الانْسِحابِ ، وقَبْلَ انسَحابِهِمْ يُشْعِلُون بعضَ الفَتَائِلِ ، ثم يُلْقُونَهَا على القَصْر والمَسْجِد .

وَنَصَبَ الفرنسيُّون مدافَع جديدةً ، وشَرَعُوا يَشنُّونَ[1] حربًا طاحِنَة على الشَّعْبِ . وفى هذه المرةِ كَانتِ المدافعُ جاهزةً بحيثُ لمْ يَستطِع الأهالى أنْ يَصمُدوا أَمامَهَا طَويلاً .

وأحدَثَتْ الطلقاتُ ثَغراتٍ فى المسجد والقصر ، فَتَسرَّبَ مِنْهَا الجنودُ الفرنسيون إلى الداخلِ ، وأَشَدَّ ما كانَت دَهْشتَهُم عِنْدمَا وَجَدُوا أَنْفُسهم مَحْصُورين بستارٍ مِنَ الدُّخَانِ أَعْمَى أَبْصَارَهُم ، وأَذْهَلَ عُقُولَهُمْ فأَصَابهُمُ الإغشاءُ وَسَقطُوا على الأرض كَمَا تَتَساقَطُ أَوراقُ الْخَرِيف . وصَعَدَ «أحمدُ الأبنُودى» إلى الْمِئذَنَةِ وفى يَدِه مدفعهُ ، وأَخذ فى وسَط النِّيران التى تُحيط بِه من كلِّ جانبٍ يُرسلُ الطلقاتِ بَعد الطلقاتِ، وهو يَقُولُ : الله أكبرُ ... الله أكبرُ .

وانقضىَ النهارُ وأحمدُ الأبنُودى مُعلَّقٌ فوقَ المئْذَنِة ، وهو يُسَدِّدُ الضَّرَبَاتِ إلى الفرنسيين .

وعندمَا حَلَّ الليلُ تَسَلَّلَ الأبنُودى من المسجِدِ ، بعَدَ أنْ لَبَس ثِيابًا أُخرى وتركَ الأولى فى المئذنة .

وعندمَا جاءَ الصباحُ فى اليومِ التالى ، خُيِّلَ لأحدِ الجُنود الفرنسيين أَن أَحمدَ الأبنُودى واقفٌ فى المِئْذَنَةِ لا يَتحركُ ، فَوَجَدَ فى نَفْسه الشَّجَاعَةَ للصعودِ إلى المِئْذَنَة لِلقَبضِ عليه ، وأشَدَّ ما كانتْ دهشتُهُ عِنْدَمَا أدركَ أنَّ هذه ثيابُهُ وأنَّهُ قَدْ انسحَبَ .

هذهِ صُورةٌ مِنْ صُوَرِ مُقاومةِ الشَّعْبِ المِصْرِى لِجيشٍ فرنسيٍّ جاء يحتلُّ بَلَدَهُ .

---

(١) يشن حربا: يثيرها من كل ناحية.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) لماذا لم يستجب محمد كريم لرغبة (نابليون)؟

٢) من البطلُ المصرى الذى التف حوله الشعب بعد محمد كريم؟

٣) من بطلُ المقاومةِ فى منطقة البحر الصغير؟

٤) وضح بطولة المواطن الشاب "أحمد الأبنودى".

٥) **تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين :**

(أ) قائد الثورة الشعبية فى القاهرة هو :

(محمد كريم – حسن طوبار – عمر مكرم – أحمد الأبنودى).

(ب) أحمد الأبنودى بطل الثورة الشعبية فى:

(الإسكندرية – الصعيد – القاهرة – منطقة البحر الصغير)

٦) **صل من العمود (أ) ما يناسبه من العمود (ب) :**

(أ)	(ب)
أ- أرسل نابليون إلى	١. بقتل محمد كريم رميًا بالرصاص
ب- أوعز نابليون إلى المحكمة	٢. علم الجهاد بعد محمد كريم
ج- حمل عمر مكرم	٣. محمد كريم يؤمنه إذا هو ساعده
د- حسن طوبار زعيم الثورة	٤. فى منطقة البحر الصغير
هـ- أحمد الأبنودى زعيم شعبى	٥. فى الصعيد

٧) **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :**

(أ) رفض محمد كريم أن يفتدى نفسه بالمال. (   )

(ب) خدع أحمد الأبنودى الفرنسيين بترك ثيابه على المئذنة. (   )

كانَ شَعْبُنا المصرىُّ يَتَمسَّك بِحُرِيَّتِه وحُقوقِهِ ، كان يرفُضُ أن يَسْتَبِدَّ حاكِمهُ أَو يسوقَه كما تُسَاقُ الأَنْعَامُ ، كانَ يقفُ له بدايةَ الأمر ناصِحًا مُحَذِّرًا ، فإذا لَمْ يَسْتَمِعْ هذا الحاكِمُ إلى نَصِيحَته أَوْ تَحْذِيرِهِ ، ثارَ عَليهِ وتمرَّدَ وَأَنْزَلَهُ من عَرْشِهِ وَسَلَبُه مُلْكَه وسُلْطانهُ . وَقِصَّةُ «خورشيد» مع شعب مصرَ عام ١٨٠٥م وَمَا قَبْلَهَا تُبَيِّنُ لكَ شجاعةَ شعبِنَا وقوةَ إرادَتِهِ.

كان «خورشيد» واليًا فاسِدًا ظالمًا حَاكِمًا مُسْتَبِدًا قاسيًا ، لا يُحبُّ شَعْبَهُ ولا يَعرِف الرحمة بالنَّاسِ ، كان كُلُّ همِّه فى الحياة أَنْ يَجْمَعَ المالَ الوافِرَ لِيُنْفقَهُ على ملاذِّه وَرَغَبَاتِه الشرِّيرةِ الفاسِدَة .

وكانَ يستعينُ فى حُكْمِه لِشَعْبِنَا المجيدِ بجنودٍ غيرِ مِصْريِّين ، لا هَمَّ لهُمْ غيرُ النهبِ والسَّلْب والإضرارِ بالنَّاسِ .

غَضِبَ الشعْبُ من أَعمالِه الشرِّيرة وتصرُّفاته السيئَةِ ، حتى بَلَغَ الْغَضب غايَتهُ وبدأَتِ النفُوس تَثُورُ وتَغْلى كَمَا يَغْلِى الماءُ على النارِ ، وَلم يَبْقَ إلاَّ أَن تَقعَ مِنْ خورشيدَ وجنودِه وقعةٌ واحدةٌ ، لِيُعْلِنَ الشعبُ غضبَتهُ وَثَوْرَتَهُ ، وعِصْيَانَه . وعِندَئذٍ يُنْزِلُهُ الشَّعْبُ عَنْ عَرْشِهِ ، وَيُجَرِدَّهُ مِن جَبَروتِه[1] وسُلطانِه ، ثم يَلْقِى بِهِ بعيدًا عن هذِه الدِّيارِ .

ووَقَعَتِ الوقعَةُ فى مايو سنة ١٨٠٥ ، عِنْدَمَا اعتدى جُنُودُ هذا الوالِي على الأَهَالى اعتداءً مُؤْلمًا . واندَفَعُوا إلى الْحَوَانِيت فَنَهَبُوهَا ، وإلى المواطنينَ المارِّين فى الشَّوارِعِ والطرُّقات ، فَسَلبُوا مَا كَان فى جُيَوبِهم من مالٍ ، حتى البائعُ الجائلُ خَطفُوا بضاعَتَهُ وأَكَلُوا ثِمَارَه وفَاكِهتَه .

شَعَرَ شَعْبُ مصرَ أَنَّه لَيْسَ مِنَ الشَّرَفِ ولا مِنَ الكَرَامَة أَنْ يَسْكُتَ عن هذا الفسادِ أَو أَن يقبلَ هذا العارَ ، فَثَارَتْ جُمُوعُه وانطَلَقتْ فى الشوارع والميادين شبابًا وشيوخًا ، صِغارًا وَكِبارًا يَهْتِفُونَ بِسُقُوطِ «خورشيد» وَجُنُودِه .

وَلَقَدْ لَجَأَتْ جَمُوعُ الشعبِ الثائرةُ إلى المشايخِ والعلماءِ ، وكانَ لَهُمْ فى هذا الوقْت مَكَانَةٌ عظيمةٌ عندَ الناسِ ، وكانوا مَوْضِعَ احترامِهِمْ وَتَقْدِيرِهم . ولهذا وَثِقَتْ بِهِمْ طَوَائِفُ الشعبِ والتَفَّتْ حَوْلَهُمْ ، وَرَضِيتْ بِقِيادَتِهِمْ وَزَعَامَتِهِمْ .

---

(١) جبروته: غطرسته واستبداده أو كبره وطغيانه.

وَحَوْلَ دارِ المحكمة العُلْيَا تَجَمَّعَتْ جمُوعُ الشعْبِ وطوائفُه ، مَعَ المشايخ والعلماءِ ، لتقديمِ مطالبِهم إلى هذا الوالى الأَحْمَقِ(١) .

وتتلخَّص هذه المطالبُ فى خُروجِ الجنودِ الأجانبِ من البلادِ ، وعَوْدَة المواصلاتِ بيْنَ الوَجْهَين الْبَحَرِىِّ والقِبْلِىِّ ، مَعَ عدَم فرضِ ضرائبَ جَديدة مِنْ غَيْرِ مُوَافقَةِ العلماءِ وزعماءِ الشعبِ.

وأَرْسِلتْ هذه المطالبُ إلى (خُورشيدَ) ، حَيْثُ كانَ متحصِّنًا فى قَلْعَتِهِ . وبَدَلاً من أن يُدْرِكَ حقيقةَ الأَمْرِ، ويمنحَ الشعبَ حُقُوقَهُ ، وَيَخْضَعَ لِرَغَباتِهِ العَادلةِ ضَحِكَ وَسَخِرَ وَأَنْكَرَ حقَّ الشعبِ فى هذهِ المطالبِ .

ولَمَّا عَلِمَ العلماءُ والزعماءُ عَدَم قبولِ الوالى مطالِبهم ازْدَادُوا غضبًا وَثَوْرَةً ، وقرَّرُوا خلْعَه ، وأَعلنُوا قرارَهُم للجُمُوع الكثيرةِ التى كانتْ تتَزَاحَم كلَّ يومٍ حَوْلَهُم ، فَمَا كانَ مِن الشعبِ الثائرِ إلاَّ أَنْ قرَّر مُحَاصَرَةَ خوْرشيدَ فى قلعتِهِ .

واندفعتِ الجماهيرُ يا ولدى مُزَوَّدَةً بالسِّلاحِ والبنادق تحاصرُ خورشيد فى قلعتِهِ .

أَبتْ طوائفُ الشَّعْبِ أَن تَتْرُكَ مكانَهَا حتَّى يخضع خورشيدُ لإرادَتِها ومَطَالِبهَا أَو يَرْحلَ عن هذه الدِّيارِ، وَطَالَ حِصَارُ الشعب للقَلْعَةِ ، فلم يجدْ خورشيدُ مَفرا مِنْ أَنْ يُرسلَ رسولَهُ مرةً ثانيةً ليقولَ للسيد عُمَر مكرم :

كيفَ لا تُطيعُونَ أُوْلِى الأمرِ منْكُم وأَنْتُم رجالُ الدِّينِ ؟

فردَّ السيِّدُ عُمَر مكرم قَائِلاً :

نحنُ لا نُطِيعُ إلاَّ الوالِىَ العادلَ ، وخورشيدُ أَبعدُ مَا يكونُ عَنِ العَدْلِ وَالرَّحمَةِ . أَيَّةُ طاعةٍ تَجِبُ على الشعب لهذا الوالى الذى اسْتَبدَّ وطغىَ؟ أَيَّةُ طاعةٍ تَجِبُ على الشعب لهذا الوالى الظالمِ الذى لا يَعرفُ غيرَ السَّلبِ والنَّهْبِ والتعْذيبِ ؟ أَيَّةُ طاعةٍ تَجِبُ على شَعْبٍ سَلَبَهُ هذا الوالى الأحمقُ حريَّتَه وكرامتَه ؟

وأخيرًا صاحَ السيدُ عُمر مكرم فى وَجْهِهِ قائلاً :

« قل لخورشيدَ: إنهُ ليس الوالىَ الذى تَجبُ على الشعب طاعته» .

وظلَّ الشعبُ يا ولدى يحاصرُ (خورشيدَ) فى قلعته ، مُعلنًا أَنَّه لن يتخلَّى عن مطالِبه ولَوْ كَرِهَ

---

(١) الأحمق: قليل العقل.

الوالى وجُنودُه .

وأَمامَ إِصرار الشعبِ وإِرادِتِه . وَجَد سلطانُ تركيا ، أَنَّهُ لا مَفَرَّ مِنْ خَلْعِ هذا الوالى الظَّالم تهدئةً لهذا الشعبِ الغاضِبِ الثَّائرِ .

وَأَرسلَ هذا السلطانُ إِلى خورشيدَ يقولُ لَهُ :

لَقَد أَدْرَكنا غَضَبَ الشَّعْبِ المِصْرىِّ وتَمَرُّدَهُ عليك وَحصَارَهُ لقَلْعِتك وَأَدْرَكْنَا أَنَّهُ من الخطأ تأَيْيدُكُم فِى سياسَتِكُم التى أَثارتِ الشَّعْبَ ، وَرَأَيْنَا أَنَّهُ لابُدَّ مِن عَزْلِكُم ، تَحقيقًا لرغباتِهِ واسْتِجَابةً لِمَطَالبِهِ .

هذه صفةٌ من صفاتِ شعبنا التى يجبُ أَن تُبَاهِىَ بها وتُفاخِرَ .

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :**

أ- يرفض الشعب المصرى الخضوع والاستسلام للطغاة . ( )

ب- كان خورشيد حاكما عادلا. ( )

ج- لم يستجب السلطان التركى لمطالب الشعب المصرى. ( )

٢) **تخير الصواب مما بين القوسين :**

أ- لجأت جموع الشعب إلى (التجار والصناع . الجنود والضباط . المشايخ والعلماء) ليتحدثوا باسمهم أمام الوالى .

ب- تَجَمَّعَتْ جمُوعُ الشعْبِ وطوائفُهَ حَوْلَ دارِ (المحكمة العُلْيَا . الحكمة . القضاء العالى) لتقديمِ مطالبِهم إلى خورشيد.

ج- كان همُّ خورشيد فى الحياة (جمع المال . تعيين أقاربه . تحصيل العلوم) .

٣) لماذا ثارت مِصرُ على الوالى التركى «خورشيد»؟

٤) ما موقفُ (عمر مكرم) من خورشيد؟

٥) ماذا فعلت جماهير الشعب المصرى لإجبار خورشيد على الخضوع لإرادتها ؟

٦) لماذا عزل السلطان التركى واليه فى مصر؟

وحملة فريزر عام ١٨٠٧م

أُحدِّثُكَ الْيومَ عن شَعْبِ رشيد .. هذا الشعبُ المجيدُ الذى أَبَى فى عام ١٨٠٧م أَنْ يَسْتَسْلِمِ لِجيش أَكْبَرِ دَوْلةٍ فِى أوروبا وقتَئذٍ .... أَبَى أَنْ يَخْضَعَ أَو يَلِينَ ، بالرغم من أَنَّ حاميةَ رشيد لم تَكُنْ تزيد على سَبْعِمائةِ جندىٍّ.

وَصَلَتِ الْحَمْلَةُ الإنجليزية إلى الإسكندرْيةِ ، بِقِيادَةِ «فِريزرَ» فى مُنْتَصفِ مارس ١٨٠٧م فَمَا كَانَ مِنْ «أَمين أَغا» مُحافِظ الإسكندريةِ وَقْتَئذٍ ، إلاَّ أَنْ سَلَّمَها لَهُمْ ، فقدْ كَان تُرْكِىّ الأَصْلِ ، لاَ يَجْرِى فى عُروقِهِ الدَّمُ المِصْرىُّ الأَبِىُّ الأَصِيلُ . وما إنْ وَصَلَ نبأُ الجيشِ الإنجليزى الزَّاحف نحوَ رشيد إلى أَسماعِ محافظِ رشيد ، حتَّى جَمَعَ العلماء والأَعيانَ والأُدباء والتُّجَّارَ وكِبارَ رِجالَ الحامية ومختَلَف طوائِف الشَّعْبِ ، فى مؤتمرٍ للتشاوُرِ فى أَمْرِ هذا البَلاَء الزَّاحفِ نَحوَهُم وقد اُفْتتَحَ المؤتَمر بكلمةٍ منه يقول فيها :

«يَا أَهْلَ رَشيدَ .. هذا يومُكُمْ وتِلك دِيَارُكُم ، فدافعُوا عنها بكل ما استَطَعْتُم من قُوَّةٍ ، وَاعْلَمُوا أَن مَصِير مِصْرَ كلها فى أَيديكم . أَنْتُمْ أَمامَ أَمْرَيْنِ ... إِمَّا أَن تَصْمُدُوا لعدوكّم ، وتُسْتَشْهَدُوا فى سبيلِ وطنِكُم دفاعًا عن ديارِكُمْ وأَبنائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ .... وإما أَن تَكْتُبُوا لأَنْفُسِكُمْ الذُّلَّ والعارَ والهَوَانَ وهَذَا لاَ أَرْضَاهُ لكُم» .

فَصَاحَتْ جُمَوعُ الشعْبِ فى حماسةٍ زائدةٍ :

الموتُ فى سبيلِ الوطنِ غايَتُنَا، والكِفَاحُ مِنْ أَجلِه رسالَتُنَا .

وَبَعْدَ مُنَاقَشَات استَقرَّ رأْىُ الجميعِ على المقاومة حتَّى الموْتِ ، وانطلقَ الأَدباء يُلَقِّنُونَ الشعبَ الأَناشيدَ الوطنيةَ التى تُرَدِّدُها الْجَمَاهِير .

وَقدْ تَجاوَبَ صَدَى هَذِه الأَناشيدِ فِى أَنحاء رشيدَ ، فبَعَثت الحماسةَ فى النُّفُوسِ ، واستعَدَّ الناسُ لليَوْمِ الفاصلِ فى تَاريخهِمْ استعدادًا كبيرًا .

وأَرسَلَ محافِظُ رشيدَ رُسُلَهُ إلى خارج المدينة لِيُخْبِرُوه بِمَوْعد قدومِ جَيْشِ الإنجليزِ الزاحِف نحوَهم ، لِيَكُون الشعبُ عَلى استعدادٍ للقَائِه .

وَعِنْدَمَا رَأَى هؤلاءِ الرُّسُلُ جَيْشَ العدُوِّ على بُعدِ أَربعةِ كيلو متراتٍ من المدينة انطلقُوا مُسْرعينَ بجيادِهَمْ إلى المحافظِ ليُخْبِرُوه الخَبَرَ .

ولم تمض لحظاتٌ حتَّى انطلقَ المناذُونَ فى شوارعِ رَشِيدَ يَأْمرون بالاستعداد والاختباء فى المنازلِ والمتاجر حتى تحينَ اللحظةُ المناسبةُ ، وفى دقائقَ معدوداتٍ كانتْ شوارعُ المدينةِ خَاليةً من كلِّ نَشاطٍ وحركةٍ .

وُزِّعَتْ الجنودُ المصرِيَّةُ مَعَ المُجَاهِدين من أَهلِ رَشيدَ على المنازلِ الواقعةِ فى شارع دهليزِ الملكِ والمشرفَةِ عليه ، باعتبارِه الْمَدْخَل الرئيسى للمدينةِ فهو يسيرُ مستقيمًا حتى ينتهِىَ إِلى حدودِها الشرقِيَّة على ضَفَّة النيلِ كما صَدَرتِ الأَوامِرَ بفتْحِ البابِ الغربىِّ الْمُتَّصِلِ بدهليزِ الملكِ فَفُتِحَ على مِصْرَاعَيْهِ ، انْسَحَبَ الجُنودُ من خَلفِ الأَسْوارِ إِلى داخلِ المدينةِ .

وعندَ الظُّهرِ دخلَ الجنودُ الإِنجليزُ من بابِ المدينةِ آمنين . وكان الطريقُ الرملىُّ بين الإِسكندريةِ ورشيدَ قدْ أَنْهَكَهُم ، وكانَ اليومُ شديدَ القيظِ على الرَّغْم من فصلِ الربيعِ .

ولم يعترضْ أَحدٌ طريقَ الغُزَاةِ الْمُعْتَدِينَ ، بل جالُوا فى المدينةِ ولم يُصادِفُوا فيها إِنسانًا وراقَهُمْ ما يُشاهدون فى رَشيدَ من حدائق فَيْحَاء . ورأَوْا أَولَ مَرَّةٍ ميَاهَ النيلِ العذبةَ الجاريةَ وضفَّتَيْه المزدَانَتيْنِ بِالْخُضْرَةِ الزَّاهِيَةِ ، وقد قامتْ أَشجارُ النخِيل الباسِقاتُ على جانبيْه ، فاتَّخذُوا من شارع دهليز الملك والشوارع الأَخرَى مكانًا للاستِراحةِ ، بعد أَن اطمأَنُّوا لعدمِ وجود المقاومةِ . خلعُوا أَسلحَتَهُمْ وتحرَّروا من أَمتعتهمْ واستكانوا إِلى الدَّعةِ وأَخذوا يتَسامَرُونَ وَيَتَضَاحكُونَ . وقد انتشرُوا فى شوارع المدينة طِبْقًا للخُطَّة الْمَرْسُومَة . يَسْتَظِلُّونَ بظلِّها الظَّليل .

وفَجأَةً انهالَ عليهمُ الرَّصَاصُ من شُرُفاتِ المنازل ونوافذِها يحْصُدُهم حَصْدًا ، وفى غَمْرةِ هَذه المفاجأةِ خَرَجَ من المنازلِ الجنودُ والأهالِى المجاهدون وقاتلوا الإِنجليزَ بالسِّلاحِ الأبيضِ ، فَفَتَكُوا بهمْ فَتْكًا ذَرِيعًا واشتَرَكَ النِّساءُ فى المعركةِ فَكُنَّ يُنْشِدْنَ الأَناشيدَ ، ويَضْرِبْنَ بالدُّفُوف .

وَفَتَّ ذَلِكَ فِى عَضُدِ الإنجليز[1] ، وخرجُوا من بابِ المدينةِ ضاربِينَ فى الصَّحراءِ .

---

(١)المراد: ضعفت قوتهم، والعضد : الساعد.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) متى وصل القائد الإنجليزى فريزر إلى الإسكندرية فى حملته الحربية؟

٢) ما موقف أمين أغا من حملة فريزر؟

٣) كيف استعد أهل رشيد للقاء حملة فريزر؟

٤) « وَفَتَّ ذَلِكَ فِى عَضُدِ الإنجليز، وخرجُوا من بابِ المدينةِ ضاربِينَ فى الصَّحراءِ» .
هات مرادف (عضد) ومضاد (خرجوا)، ومفرد (ضاربين) فى جمل مفيدة.

٥) متى أصيب الإنجليز بالهزيمة فى رشيد؟

٦) ما الخديعة التى دبرها أهل رشيد لفريزر وجنوده؟

٧) **تخير الإجابة الصحيحة مما بين القوسين فى كل مما يأتى :**

(أ) كثرت ضحايا الإنجليز لأنهم كانوا:

(قلة ضعيفة – عزلاً من السلاح – وضعوا أسلحتهم للراحة).

(ب) جاهد أهلُ رشيد أعداءهم:

(بالسلاح الأبيض – بالبنادق – بالمدى والبنادق).

(ج) وزِّعَت المقاومةُ الوطنية فى:

(شارع دهليز الملك – كل شوارع رشيد – المساجد والمدارس)

صل من العمود (أ) بِمَا يناسبه من العمود (ب) :

(أ)	(ب)
١. كانت العيون ترقب	أ- بالاختباء فى المنازل
٢. استخدمت العيون الخيول	ب- دون مقاومة تذكر
٣. نودى على الجنود والشعب	ج- ماء النيل العذب
٤. دخل العدو رشيد	د- تحرك العدو نحو رشيد
٥. خلع الجنود أسلحتهم	هـ- توفيرًا للوقت
	و- ثمار البساتين اليانعة
	ز- ليستريحوا من وعثاء الطريق

بدأت الثورة العرابية باجتماع ضباط الجيش فى منزلِ (أحمد عرابى) وأقسموا على الجهادِ لتحريرِ مصر مما لحقَ بها على يد الخديوي، وجرت الأحداثُ سريعًا وقام الجيشُ كله بعرضٍ عامٍ فى ساحةِ عابدين فى التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١م، وفيه عرضَ (أحمد عرابى) طلباتِ الجيش والشعب، فردَّ الخديوي قائلًا:

«لا حق لكم فى هذه المطالبِ ، لقد ورثتُ هذه البلادَ عن آبائى وأجدادى ، وما أنتم إلا عبيد إحساننا».

فردَّ عرابىٌّ رده التاريخى المعروف: «لقد خلقنا الله أحرارًا ، ولم يخلقنا تراثًا أو عقارًا ، والله الذى لا إله إلا غيره ، إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم».

اتفق الخديوي مع الإنجليزِ على أن يَرَواْ أمْرًا لدخولِ مصرَ ، وَتَعَهَّدَ لَهُمْ أن يساعدَهم ، وتَعهدوا له أن يحموا عرشه، وسافر الخديوي إلى قصر رأْس التين ؛ ليكون فى حماية الأسطول الإنجليزى الذى دخل ميناء دمياط ، وقامت الفتن فى البلاد ، وضرب الأسطول الإنجليزى فى الإسكندرية، واضطر عرابى إلى الدخول فى الحرب ضد الإنجليز الذين انحاز إليهم الخديوي، ووقف الشعب المصرى بكل ما يملك بجانب الجيش وقائده العظيم (عرابى) ، ووقعت النكسة الكبرى بوصول الجيش الإنجليزى إلى القاهرة عن طريق العباسية ، ثم القلعة التى سلمها لهم (خنفس) قائد حاميتها .

لقد جَهِلَ الإنجليز الحقيقةَ الواضِحَة التى سجَّلَهَا "ماسبيرو" المؤرِّخُ الكبيرُ قائلًا:

"إن هذهِ الأمةَ المصريَّةَ الْعتيَقةَ دونَ سائرِ الأممِ والشعُوبِ ، تَدُلُّ طبائعُ أبنائها، كما تَدُلُّ آثارها على الْبَقاء والخُلُودِ ، فكم مِنْ مَرةٍ اجتاحَها الغاصُبونَ الأقوياء ، وَظَنُّوا أنهمْ حوَّلوا أرضهَا رمادًا تَذْرُوه[1] الرياحُ ، وظنُّوا أنَّهُمْ قَلبوا مُدنَهَا وقُراها أنقاضًا[2] فوقَ سكانها ، فإذا بأولَئِك السكان ينفُضون[3] عنهم ما ظَنَّهُ الغاصبون فَنَاءً ، ويُبْعَثُونَ من تَحتِ الأنقاض ليُعيدُوا البناء والكفاحَ من جَديد"

لقَدْ جَهِلَ الإنجليز هذه الحقيقة التاريخيَّة وسَخِرُوا بها، حتى لاحَ بين هذا الظلامِ نجمٌ جديد، يدعُو لبعثٍ جديدٍ.

وأيُّ نجمٍ غيرُ مصطفى كامل؟ هذا الشابُّ الذى صمَّمَ على أن يجعلَ حياتهَ كلَّها جهادًا فى سبيلِ

---

(١) تذروه : تطيره وتبعثره .

(٢) أنقاضاً : الأنقاض بقايا الديار المتهدمة ، جمع"نَقْض" .

(٣) ينفضون : يزيلون .

بلادِهِ، وأن يكون المحاميَ الأوَّلَ عن قضيةِ وطنهِ العزيزِ.

لقد رأى مصطفى كامل أن يبدأ جهادهَ بوسيلتين: الأولى : تقومُ على بَعْثِ الحركةِ الوطنيةِ فى الداخل ، لتوْحيدِ الجُهود ضِدَّ المستعمرين ، ومُحَارَبةِ استسلام الوزراء والْحُكَّامِ وكِبارِ الموظفين المِصريين لسُلْطاتِ الاحتلال ، والوسيلةُ الثانيةُ : الدعاية للقضية المصريةِ فى أورُوبَّة ؛ حتى يفهَمَ العالَمُ كلُّه أن فى مصر شَعبًا حُرًا صمَّمَ على أن يَسْتَرِدَّ حريتَهُ واستقلالَه.

وكانَ بجانِبِ هاتينِ الوسيلتين يَبثُّ فى الشعب المصرى الوطنيةَ الصادقةَ الصحيحةَ والشهامَةَ والشجاعَةَ والإقدامَ ويدعوه إلى حب المجدِ والرِّفعةِ ومسابقةِ الأمم فى مضْمَارِ التَّقَدُّمِ والرُّقِيِّ ، لأنه كان يرى أنه إذا تمكنَتْ هذه الْمَشَاعِرُ وتلك الصِّفاتُ من كلِّ مصرى ، ظهَرتْ معالمُ الْهِمَّةِ والإقْدَامِ ، والتضامُن بينَ مُختَلِف الطبقاتِ والهيئاتِ، واتحدَت الأمةُ المصريةُ فى أهدافِها وغاياتِها ، وقَضَتْ على دُعَاةِ التفرق والخِصامِ ، وأَصبَحَتْ أمامَ المستعمِرِ كالْبُنْيَانِ المرصُوصِ(١) يَشدُّ بعضهُ بَعْضًا.

بَدَأَ مُصْطَفى كامل يَتَّصِلُ بالصُّحُف الْمصْريَّةِ ، يَنْشُرُ فيها المقالات الوطنيةَ ، لِيُلهِبَ حماسَةَ الشَّعْبِ وَيُحَرِّكَ غَيْرتَهُ وَيُثِير وَطنيتَّهُ ، وكان يَخْطُبُ فى الأنديةِ يَحثُّ مُواطنيهِ على الكفاحِ والجِهَادِ ، وما تَرَكَ مُناسبةً إلاَّ وَقفَ يَطْعَنُ فى سياسةِ بريطانيا ، داعِيًا أمَّتَهُ إلى التَّمَسُّكِ بحرِّيَّتها وَحُقوقِها كاملَةً.

ولِيَنْشُرَ دعوتَه الوطنيةَ فى نُفَوس الشعب أصدرَ صحيفةَ اللِّواءِ التى أصبحَتْ شِبهَ مدرسة تُعلِّم المصريين حقوقَهمْ وواجباتِهم ، وكانَ يهتمُّ فيها بِبَعْث الروحِ الوطنية واتحادِ عُنْصُرَى الأمة وكَشْفِ مساوىء الاحتلال والاستعمارِ ومُحَارَبَةِ اليأسِ والاسْتِسْلاَم ، والدَّعْوةِ إلى التمسُّكِ بحقوقِ البلادِ ، وكان شعارُه فى ذلك: «إنَّ مَنْ يَتَسَامَحُ فى حُقوقِ بِلادهِ ، ولو مَرَّةً واحِدَةً ، يبقَى أبَدَ الدَّهرِ مُزَعْزع العَقِيدَةِ».

ولم يقتصِرْ مصطفى كامل على نَشْرِ دَعْوتَهِ فى مِصْرَ، بل رأى بحكْمتِهِ أن أقوَى سِلاَحِ فى جهَادِهِ هُوَ الدِّعايةُ للقضيةِ المصريةِ فى أورُبَّا فذهَبَ إلى فَرَنْسَا وهناكَ أخرجَ نداءه فى صورةٍ رَمْزِيَّة تُمَثِّلُ مصرَ تحتَ قيود الاحتلالِ البريطانى، وهىَ تسْتغِيثُ بأحْرَار فَرَنسا، لُيساعِدُوها على تحريرِها واستقلالِها.

طَبَعَ مصطفَى كامل من هذا النداء مئاتِ الآلاف من النُسَخ وَوَزَّعَهَا على النُّوَّابِ والكُتَّابِ وَالْمُفَكِّرينَ وَالصَّحَفِيِّينَ فى نوَاحى فَرَنْسَا ، وفى أرجاء العالَمِ كلِّه، فكان لهذا العَمَل أثرٌ كبيرٌ فى تَنْبيه

---

(١) المرصوص : المنضم بعضه إلى بعض القوى .

أذهان أورُبَّة ، إلى عَدَالةِ القضيةِ المصريةِ وحقِّ المصريين فى الحَيَاة الْحُرَّةِ الكريمةِ.

وَبَيْنَمَا كانَ مصطفى كامل يَدْعو للقضِيِّةِ الوطنيةِ فى فرنسا وَقَعت فى مصرَ حادثةُ دِنْشوَاى. لقد كَان بعضُ الضباطِ البريطانيين يصطادُونَ الحمام بالقربِ من بلدة دِنْشوَاىَ بالمنوفية، فأصابتْ رَصَاصَة أحدِهم فَلاَّحَةً مِصْريةً ، واشتعلَتِ النارُ فى أجْرَانِ القمح ، فطاردَ أهْل دِنْشوَاىَ الضبَّاطَ الإنجليز فى بلدتِهِم فَوَلَّواْ هاربين. وفى الطريق الزراعى تَعَرَّض أحدُ هؤلاء الضُبَّاطِ لأشعةِ الشَّمْسِ المحرقةِ، فأصابَتْهُ ضَرْبَةُ الشَّمسِ، فَمَاتَ.

عنْدَئِذٍ ثَارَتْ ثَائرَةُ الإنجليزِ وشُكِّلتْ محكمَةٌ عَسْكَرِيِّةٌ ، وبعدَ مُحاكماتٍ وهْمِيَّـةٍ لا عَدْلَ فيها ولا مَنْطِقَ حَكَمَتْ بإعْدَامِ أربعةِ من الأهالى شَنْقًا وبالسَّجْن وَالْجَلْدِ على آخَرِينَ.

وفى مَكَانِ الحادثِ نُصبَتْ الْمَشانِقُ وجِىء بآلاتِ الْجَلْدِ وَالتَّعْذِيبِ ، وَنُفِّذَت الأحْكامُ أمامَ أقاربِ الْمَحْكومِ عَلَيْهِمْ فى عُنفٍ زَائِدٍ وَقَسْوَةٍ بَالغَةٍ.

وعندمَا عَلِمَ مصطفَى كامل وهو فى باريسَ بهذا الحادث الأليم ، استَغلَّ الحادث ونهضَ على الرَّغْمِ من مَرَضِهِ يُبَيِّنُ للعالمِ كلِّه ظلْمَ الاحتلالِ والاستعمارِ ، وَتَتَابَعتْ مقالاتُهُ فى الصُّحُف قائلًا:

"جئـت الْيَـوْمَ أسـألُ الأمـةَ الإنجليزيـةَ نَفْسَـهَا والعـالَمَ المتَمَـدْيِنَ: هـل يَجـوز إغفـالُ مبـادىء العـدْلِ والإنسانيةِ إلى هذا الْحَدِّ؟

جئتُ أسْألُ الإنجليزَ الْغَيْرَةَ على سُمْعَة بلادِهِم وكرَامَتِهَا ، وأن يقُولُوا لَنَا إذا كَانُوا يَرَوْنَ بسْطَ النفوذ الأدبىِّ والمادىِّ للإنجليز على مصرَ بالظلمِ وصُنوفِ الْهَمَجِيَّةِ؟

جئتُ أسْألُ الذين يُجاهرونَ فى كُلِّ آنٍ بحق الإنسانيةِ ، مَالئِين الدُّنْيَا بعباراتِ السُّخط، إذَا حدثَتْ فظائعُ فى بلادٍ أخرى دونَ فظيعة دنشوايَ ألفَ مرة أن يُثْبِتُوا صِدْقَهم وإخلاصَهم بالاحتجاجِ بكلِّ قوَّةٍ وشِدَّةٍ على هذا العملِ الْمُنْكَرِ الذى يُدِينُ إلى الأبد تِلكَ المدنية الأورُوبيَّةَ فى أعْيُنِ العالَمِ كَافَّةً.

جئتُ أسأل الأمة الإنجليزية إذا كان يليق بها أن تترك الممثِّلين لها فى مِصرَ يعمَدُونَ بعد احتلال دام أربعةَ وعشرين عامًا إلى قوانين استثنائيةٍ ووسائلَ همجيَّةٍ بلْ ، وأكثَرَ مِن همجيَّة – لِيحكُمَوا مصرَ وَيُعلموا المصريين ماهيَّةَ كرامَةِ الإنسانِ"

ثُمَّ استطرد يقُولُ:

« يحقُّ للمِصْريين أن يَطْلُبوا تحقيقًا دقيقًا كاملًا فى المسألةِ، وإِنَّ مِصْرَ على بُعْدِ يَوْمَيْن من أورُبَّة ، فليأتِ إليها الإنجليزُ الْمحِبُّونَ للْعَدْلِ والرَّاغِبُونَ فى إعلاءِ الشَّرَفِ البريطانىِّ ، وليذهبوا إلى المدائِنِ والقُرَى وليرَواْ بأعيُنِهم أنَّ الشعبَ المصرىَّ ليس متعصِّبًا أبدًا ، ولكنَّه شعبٌ كريمٌ أبىٌّ ينشدُ العدْل والمساواةَ ويطْلُب أن يُعامَلَ كَشعبٍ حرٍّ لا كقطيعٍ من الأغنام ، وأنَّهُ يَعْملُ بكُلِّ عزيزٍ لديهِ لِتحْقِيقِ هذا المطْلبِ الأسْمَى[1] مطلبِ الحريَّةِ والاستقلالِ ».

أجْلَ، إنَّ الشْعبَ المصرىَ شاعرٌ الآن بكرامِتَه ، وذلك أمرٌ لا يُمكنُ إنكارُه بأيةِ حالٍ، إنَّهُ يطلُبُ مُعَامَلَةَ أبنائه أسْوةً بالأجَانِبِ ، وهو طَلَبُ عدلٍ وغيرُ مبالغٍ فيه أيضًا.

إنَّنا نُطالبُ بالعدلِ والمساواةِ والحريةِ ، نطلُبُ دُستورًا يُنقذُنا من السُّلطةِ المطْلَقَة ، ولا شكَّ أنَّهُ لا يُمكِن للعالمِ المتمدْينِ وللرِّجال المحبِّين للحرِّيَّةِ والْعدْل فى إنجلترا إلا أن يكونوا مَعنَا، ويطْلُبوا مثْلَنا ألاَ تكون مصْرُ – تلك التى وَهَبَتْ للعالمِ أجملَ وأرْقَى مدنيَّة – أرضًا تمرحُ الهمجيَّةُ فيها، بل بلادًا تستطيعُ المدنيَّةُ والعدالةُ أن تبلُغا فيها من الخصب والنموِّ مبلغَ خصبِ أرضِها المبارَكَةِ".

ودَوَّتِ المقالةُ فى أوروبا دويًا عظيمًا، وتناقلتها الصُّحفُ فى مختلف أرجاء العالَمِ بالتعليقِ النَّزِيهِ وكانَ لبلاغَتها وعبارتَها القويَّةِ المؤثرة ، الصَّادرةِ من زعيمِ الحركةِ الوطنيّة تأثيرٌ كبيرٌ فى الرأى العامِّ الأوربى الأمرُ الذى جعل صحيفةَ "التربيون الإنجليزية" تُنَادى بوجُوُب مَنْحِ مِصْرَ استقلالها الذَّاتىّ .

وكَتَبَتْ مجلةُ "المجلات" الإنجليزية مقالةً تذكِّرُ الإنجليزَ فيها بوعُودهِم بْالجلاء عن مصرَ، وأخذتِ الصُّحف العَالميَّةُ الأخرى تنشُرُ المقالاَتِ الطَّويلَة عن مِصْر ومكانَتِها فى المجتمعِ الدَّولىِّ.

وكان لهذه المقالةِ صدًى فى البَرْلَمَان البِريطَانىِّ إذْ قَامَ بعضُ النُّوَّابِ الأحْرَارِ يُلْقُونَ على اللُّوردِ كرومر[2] تَبِعَةَ حادثةِ دِنْشِواَى ويَستَنْكِرُون فَعْلَتهُ.

وتَوجَّهَ (مصطفى كامل) بعد ذلك إلى لَندنَ نفسِها، وراحَ يواصِلُ جهادهَ هناك رافعًا صوتَ مصرَ عاليًا ، شَارحًا لرجالِ السياسةِ وقادةِ الفِكر وِجْهةَ النظَرِ المصريَّةِ فى مَنْطقٍ سَلِيمٍ ، وحُجَّةٍ قَوِيَّة.

---

(١) الأسمى : الأعلى ، والمضاد : "المنخفض"

(٢) اللورد كرومر : المندوب السامى البريطانى وقتئذ ، وكان يمثل الحكومة البريطانية فى مصر

وأَدْركَت الحُكُومةُ الْبِريطَانِيَّةُ أن سياَسَتَها فى مِصْرَ تَحْتَاجُ إِلى تَبْدِيلٍ وَتَعْديلٍ وَأُلْقِيتْ مَسْئُولِيَّةُ حَادِثَة دنْشوَاى علـى شَخْصِيَّة اللُّوردِ كرومر، ورأت بريطانيا إقصاءهُ عن منَصْبِهِ إنْقَاذًا لسُمْعَتِها أمامَ العَالَمِ المتمدين وتَخْفِيفًا لِهَياجِ الشعور الوطنىِّ فى مصر.

وكان استعفاءُ[1] اللورد كرومر انتصارًا كبيرًا للحركةِ الوطنيةِ ، فقد تولَّى مَنْصبِهِ فى مصرَ مدَّةَ أربعة وعشرين عامًا، وكان فى خلالها الحاكمَ المطلقَ لمصرَ، فلا شكَّ أن إقصاءهُ عن السلطةِ بعدَ هذه المدَّةِ الطويلةِ ، هو اعتَرَافٌ بقوَّةِ الحركَةِ الوطنيةِ.

وَقَف (محمدُ فريد) فى أوربا راسخًا كالجبالِ ، يُنْفِق مِنْ ذاتِ يدهِ قَبْلَ أنَ يخْطبَ أو يَكْتُب ، كان يطيرُ إلى المؤتمراتِ الأوروبية لا يفُوته منها مُؤْتمرٌ، ولا يتركُ منها اجتماعًا، رافعًا صوْتَ مِصرَ، ومُنَاديًا باستقلالِهَا ، يُعِينُهُ مالُه، وتُسْعِفُهُ ثَروتُهُ ، دون أن يطلب من قومِهِ عَوْنًا.

وظَلَّ يَدْعُو لاستقلالِ بلادِهِ، ويُثِيرُ فى قَوْمِهِ الحَمَاسةَ والوطنيَّة حتى نَفِدَتْ أموالهُ وعاشَ فى أواخِرِ أيَّامِهِ مريضًا فقيرًا ثم أسْلَم الروحَ بعيدًا عن دِيَارِه.

وكانَ لِجِهَادِ هَذَيْنِ الزعيمَيْنِ: مصطفى كامل، ومحمد فريد أثرٌ كبيرٌ فى ازديادِ الوَعْى القَوْمىِّ ، حتى أصبحَ الشعبُ دائمَ المُطَالبةِ بحقوقِهِ ، وعلى استعدادٍ لمقاومةِ الاحتلالِ وبذلِ التَّضْحِياتِ ، عند سُنُوحِ أيةِ فُرْصةٍ ، وقد سَنَحَتْ تلك الْفُرْصَةُ فى ثورة ١٩١٩م.

---

(١) استعفاء : إبعاد وإقصاء

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) لخص فى خمسة أسطر أحوال الاحتلال الإنجليزى فى مصر.

٢) بدأ مصطفى كامل الجهاد بوسيلتين. فما هما؟

٣) ماذا فعل مصطفى كامل لينشر دعوته فى نفوس الشعب؟ وماذا كان شعاره؟

٤) اكتب ما تعرفه عن حادثة دنشواى. وكيف استغل مصطفى كامل هذا الحادث؟

٥) **تخير الإجابة من بين القوسين :**

حمل لواء الكفاح بعد مصطفى كامل مباشرة: (جمال عبد الناصر – سعد زغلول – محمد فريد).

٦) **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :**

(أ) مات الضابط الإنجليزى فى قرية (دنشواى) بأيدى الفلاحين. (   )

(ب) سافر (مصطفى كامل) إلى فرنسا يدعو للقضية المصرية. (   )

(جـ) اختار (محمد فريد) طريق الكفاح المسلح لنيل استقلال مصر. (   )

(د) لم يكن (مصطفى كامل) و (محمد فريد) أثر فى المصريين. (   )

(هـ) تبدلت سياسة إنجلترا فى مصر بعد كفاح (مصطفى كامل). (   )

فى ١٣ مِنْ نُوفمبر سنة ١٩١٩، ذهب سعدُ زغلول مَعَ زميلَيْهِ عبد العزيز فَهْمِى وَعَلى شعراوى ، إلى دار المندُوب السَّامىِ البريطانىِّ وعَرَضُوا عَلَيهِ مَطَالِب البِلادِ فى الحرِّيَّةِ والاسْتِقْلال .

لَمْ يَظْفَرْ هؤلاء الزُّعَماء الثَّلاثةُ منَ المندوب البريطانىِّ بِجواب يُحقِّقُ آمَالهمْ ، وأدرك سعدٌ من مناقشةِ المندوب إيَّاهُمْ أنَّ بريطانيا لا تَرْغَبُ فِى الْوَفاَء بوُعودِها السَّابقَةِ التى قَطَعَتْهَا على نَفْسِها بالْجَلاء ، والاعترافِ باسْتِقْلال مِصْرَ ، فَعَزَمَ سعدٌ على أن يَرْفَعَ رايةَ الجهَادِ ويُطَالِبَ باستقلالِ البلادِ.

وكانَ أوَّل ما وجَّهَ اهتمامه إلَيْه وُقوُف الأمةِ صَفًا واحدًا متماسكًا أمام الإنجليز، ليَقْطَعَ أمَلَهُمْ فى التفريق بَيْنَ عُنْصُرَى الأمةِ ، وقدْ لبَّى الشعبُ المصرى بَجَمِيع طوائفِهِ وأدْيانِهِ النداء حتَّى تبَادَلَ رجَالُ الدِّين الزيارَةَ والخُطبَةَ فى المساجدِ والكنَائس ، وأصبحَ الشَّعْبُ كُتْلةً واحِدَةً مُتَراصَّةً ، لا يَسْتَطِيعُ الْمُحْتَلُّ أنْ ينفُذَ بَيْن صُفُوفِها.

ورأى الإنجليزُ خَطر هذه الحَركَةِ ، فعَزمُوا على إخمادِها ، قَبْل أن يَزْدادَ الأمرُ سُوءًا فألْقَوا القَبْضَ عَلَى (سعد زغلول) وثلاثةٍ منَ المُجاهدينَ مَعَهُ ، وأُرْسِلُوا إلى المنْفَى فى جَزيرةِ مالطةَ.

كانَ نَفْىُ "سعدٍ" وصحبِه يا ولدى كالشَّرَارَةِ ألْهَبَتِ النفُوسَ الغاضِبةَ ، وأطلَقَتِ الثورةَ الكَامِنَةَ فِى الصُّدوُرِ ، فانْطَلَقَتِ المُظَاهَراتُ فى العاصِمة والأقَالِيمِ وحَدَثتِ المصادَمَاتُ بينَ المصريينَ والجنودِ الإنجليز ، وانتشرت فى الأقاليم فكْرةُ قَطْعِ المُواصلاتِ ، فَقَطَعَ الثَّوارُ خُطُوطَ السككِ الحديديةِ وجَمِيعَ طُرُقِ المُواصلاتِ .

واشتركت السَّيِّدَاتُ والفَتيَاتُ المِصْرِياتُ فى الحَركَةِ الوطنيَّةِ ، وَنَظَّمْنَ مُظاهراتٍ جريئةً وَعَرَّضْنَ أنْفُسَهُنَّ لرصاصِ المدافعِ والسِّجنِ والتَّشريد.

وفَشِلتْ بريطانيا فى إخمادِ الشعُورِ الوطنىِّ ، وَوَجَدَتْ أن سِياسةَ الحديدِ والنارِ والقَسْوَة والعُنْفِ لمْ تُجْدِ على الإطلاقِ ولم تُغَيِّرْ مِنْ سِياسَة المصْرِّيين ، وقرَّرت الإفراجَ عن سعدٍ وصَحْبِهِ.

وَمَا أنْ تم الإفراجُ عن سَعْدٍ وزُمَلائَه، حتى انْطَلَقُوا إلى باريسَ ، لعَرْضِ قَضِيَّةِ بلادِهم على مُؤْتَمرِ الصُّلحِ، إلا أنَّ الدُّولَ الكُبْرَى ناصَرَتْ حَلِيفَتَهَا بريطانيا ، وأغْمَضَتِ العَيْن وأبَتْ أنْ تَقُولَ كَلمةَ حَقٍّ.

ورأتْ بريطانيا أنْ تعمَلَ على تَهْدِئَةِ الأمور فَقَرَّرَتْ إرْسَالَ لَجْنَةٍ بِرِئَاسَةِ اللُّورد (مِلْنَرْ) للتَحْقيقِ فى أسْبَاب الثورةِ ومُحاولةِ الوُصولِ إلى حلٍّ لا يتعارَضُ مع مَصَالِحِها، وَلكنَّ الحكومةَ البريطانيةَ أعلَنتْ فى

الوَقْتِ نَفْسِه أنهَّا مُتَمَسِّكَةٌ بالْحِمَايَـةِ ، وأنَّ مُهمَّـةَ اللَّجْنَـةِ تَوْسِيعُ نِطـاقِ الحُكمِ الـذَّاتىِّ وَحِمَايـة المصـالِحِ البريطانيةِ ، فَثَارَ الشعبُ ضِدَّ هذهِ اللجنةِ وقاطَعَها ، ولَمْ تَجِدِ اللَّجْنةُ مَنْ تفُاوضهُ ، وعَادَت مِنْ حيثُ أتَتْ، بعدَ أن عَاشَتْ فى مِصْرَ ثلاثةَ شُهورٍ، لَمَسَتْ فيها قُوَّةَ الشُعورِ الْوَطنىِّ. وَحَاوَلَتْ هذه اللَّجْنَةُ بَعْدَ عوْدَتِهَا إلِى لَنْدنَ أن تَتَّفِقَ مع سعدٍ وصحبِهِ، ولكن انتهَت المفاَوضَاتُ بالفَشَل لأن مَشْروعَ "مِلنر" كَمَا وَصَفَهُ سعدٌ كان حِمايَةً مُقنَّعةً.

تَجَدَّدتِ المظـاهراتُ الوطنيَّةُ ، واشـتدَّ عُدْوانُ الْجُنُـودِ البريطـانيين علـى المتظـاهرين ، لَقَدِ اقتَحَمُـوا الجـامِعَ الأزهرَ برِصَاصِـهِم، وفَتَكُوا بعددِ كبيرٍ مِن المواطِنين فـى الأحيـاء المختلفـةِ ، وقَرَّرُوا نَفْـىَ سـعدٍ وصَحْبِهِ إلِى جزيرةِ "سِيشَل" فى المحيط الهِنْدِىِّ ، ولكنَّ نَفْىَ هؤلاء الزُّعَمَاء لَمْ يُضْعفْ حَرَكَة المُقاوَمِة، بَلْ قـامَ غَيْرُهم بتَنْظيمِ المُظَـاهَراتِ ، والاحتِجَاجـات ومُقَاطعـةِ البَضَـائعِ الإنجليزيـةِ ، وأضـرَبَ السِّيَاسِيُّونَ عن تَشْكِيل الوزَارةِ، وتكَوَّنَت الجمعيَّاتُ السِّريةُ المسلَّحةُ.

أمامَ هذا الشَّعْبِ الثائرِ، اضْطُرَّتْ بريطانيا إلى أن تُعْلِن إلِغاءَ الحمايـةِ البريطانيـةِ عن مصـرَ ، وأن مصـرَ دولـةٌ مستقلةٌ ذات سيادة ، ولكنَّهـا احتفظَـت بـأربعِ نِقَـاطٍ ، هـىَ : تـأْمينُ مُواصـلاتِ الإمبرطوريـةِ البريطانيـةِ ، والدفاعُ عن مصر ضد أىَّ تدَخُّل أجنبىًّ ، وحمايـةُ الأَقَلِّيَّاتِ ، وأنْ تُعَالَجَ مَسْألةُ السُّودَانِ فـى مُفَاوَضَاتٍ تاليةٍ بينَ البَلَدين.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) وضح سبب ذهاب سعد زغلول وزملائه إلى دار المندوب السامى البريطانى وما نتيجة ذهابهم؟
٢) كيفَ بدأت ثورةُ الشعب ضد الإنجليز؟ وما دور السيدات والفتيات المصريات فيها؟
٣) لماذا أوفدت بريطانيا لجنةً برئاسة اللورد "ملْنر"؟ وما موقف الشعب منها؟
٤) نفى الإنجليزُ سعدًا وزملاءَه مرتيْن. وضح ذلك.
٥) اذكر موقف كل من هؤلاء فى ثورة ١٩١٩:

(سعد زغلول وزملائه – الشعب المصرى – السلطات البريطانية – لجنة ملنر)

ألغِيَتِ الحِمايـةُ ، واعترفـتْ بريطانيـا لمِصـرَ بِسـيادَتها واسـتقلالهَا، ولكـنَّ بلادنَـا لـمْ تَسْـتَمتِعْ بهـذا الاسـتقلال إلا بمظهرِهِ الخـارجيِّ ، لأن الحكومـةَ البريطانيـةَ ظَلَتْ متمسّكَةً بالتحفُّظـاتِ الأربعـةِ ، وجعلتْ منها حُجة للتَّدخل فى شُئُونِنَا الداخليةِ بينَ حينٍ وآخرَ.

وابتُلِيتْ مصْـرُ بـانْحِرافِ الأحـزابِ الَّتـى طَغَـتْ علـى زُعمائِهـا وقادتِهـا ورِجالِهـا الأهْـوَاءُ والمطـامعُ الشخصيةُ. فأصبحَ هَمُّ كلِّ حِزْبٍ أن يُحَطِّمَ الحِزْبَ الآخرَ ، أو أن يَصِلَ إلى مقاعِد الحُكْمِ ، مهما كانت الغايةُ والوَسيلةُ، لقد انْحَرَفَتِ الأحزابُ وَحَلَّتْ بذَلك الْمُصِيبةُ الكُبْرى والنَّكسَةُ الْعُظْمَى ، إذ أصبَحَتْ مصالحُ البلادِ الْعُلْيَا مَوْضِـعَ مَمارَسَة ، فَمَا يَرْفضُـهُ حِزْبٌ مِنَ الأحزْابِ يَقْبلُـه الحِزْبُ الآخَرُ ويُؤَيِّدُه ، وَلهَذا كـانَ طُلابُ الْجَاهِ الْمُزَيفِ وَالْمُتَكَالِبُون على مَقَاعِدِ الْحُكْمِ يَخْضَعُونَ لرَغَبَاتِ المُسْتَعْمِر البريطانىِّ.

وَرَاحـتِ الأحْـزابُ تتصـارعُ مِـنْ أجْـلِ الْوُصـولِ إلـى مَقَاعِـدِ الْحُكْـمِ ، دُونَ اهتمـامٍ بأهـدافِ الشـعب وَغَاياتِهِ ، وَمِنْ غَيْر مُراعاةٍ لِمَصْلَحةِ الْوَطَنِ العُلْيَا.

لَقَدْ فَسَدَتْ أداةُ الحُكْمِ واتَّخَذَ البَعْضُ من مَنَاصبِهِم أوْ قَرَابَتَهِمْ لأولى الأمْرِ ، وسيلةً للثراءِ بطريقٍ غيرِ مشروع ، كالرِّشْوَةِ والاتَّجارِ فى الْممْنُوعَاتِ ، وضَعُفَتْ فى الوقتِ نفسهِ رقابةُ الْبَرْلمانِ عَلى أعمالِ الحكومات ، حَتَّى أصبَحَ دُسْتُورُ البِلادِ فى مَهبِّ الأهْوَاءِ والأغرَاضِ ، فى وسطِ هذهِ الحياةِ الفاسدَةِ دخلَ الجيشُ المصرىُّ مَعَ بقيةِ الجُيُوشِ العربيةِ أرضَ فِلَسْطِينَ ، لِتَخْلِيصِهَا من عِصَاباتِ اليهودِ.

لَقَدْ أبْدَى الجيشُ المصرىُّ في بدايةِ الأمر نشاطًا ملحوظًا وجهودًا مُوَفَّقَةً حَتَّى هَزَمَ اليهودُ في عدَّةِ مَواقِعَ ، وَدَكَّ الكثيرُ من حُصُونِهم وقلاعهِم . ولكنْ حَدَثَ مَا لمْ يَكنْ فى الحُسبَانِ ، إذ انتهزَ الْمُقَرَّبونَ إلى الملكِ الفرصةَ للإِثْراءِ على حِسَابِ أرْوَاحِ الضَّحايا فاحْتَكَرُوا[1] تَوْرِيدَ الأسْلِحَةِ لِلجَيْشِ ، وَقَدَّموا لهُ أسْلِحَة فَاسِدَةً.

ومَعَ هذهِ الظروفِ الْعَصِيبَةِ[2] وَقفَ جنودُ مصرَ وقفَةً مُشرِّفَة ، وَقَفَوُا يُدافِعُون لا بِأسلحتِهم الفاسدَةِ، بل وَقَفُوا يُجاهِدون بصَبْرِهمْ وعَزِيمتهمْ ، وَيُنَاضِلونَ بإيمانِهمْ وإرادَتِهمْ . لَقَدْ صَمَدُوا صُمُودَ الجَبابرَة ، وما صُمُودُ حاميةِ الفالوجا[3] فى فلسطِين إلاَّ صورةٌ من شجاعةِ الجندىِّ المصرىِّ.، وصبره وإيمانهِ بنفسِهِ.

---

(١) احتكر الشيء : جعله مقصورا عليه أو افرد به للاستغلال : استأثر به واستبد

(٢) العصبية : الصعبة

(٣) حامية الفالوجا : حامية مصرية كانت ترابط وتحارب اليهود فى فلسطين ، وأبدت صموداً عظيما فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩

لقدْ هجَمَ اليَهُودُ على حاميةِ الفالوجَا ، بجيشٍ كبيرٍ عَددُه أحدَ عشرَ ألْفًا زُوِّدُوا بأحدثِ الأسلحةِ ، تؤَيِّدُهمْ الدبَّاباتُ فى الأرضِ ، والطائِراتُ فى السماءِ ، وبَدَأ الغَادِرُونَ يُسَدِّدُوَن إلى هذِه الحاميةِ نارًا موقدَة، وَقَفُوا ينتظرون تَسْليمَ الحاميةِ بين لحظةٍ وأخرى ، ولكنْ خابَ أمَلُهُمْ ، كانُوا كَمَنْ يُحَاوِلُ أن يَقْبِضَ عَلَى الهواءِ أو يكتُبَ على صفحَاتِ الماءِ ، لقدْ وقَفتْ هذهِ الحاميةِ تَدافِعُ عن شَرَفِ مصر ... وقَفتْ تدافعُ بإيمانِهَا وروحِها وشَجَاعَتِهَا وصَبْرِها ... ولَيْسَ لَدَيْهاَ إلا أسلحةٌ يَندَى لها الجبينُ خَجَلاً.

أمَّام هذا الفسادُ فى الداخلِ والأحداثُ المتعاقبةُ فى الخَارجِ ، فَقَدْ خُيِّلَ لليهودِ مَعَها يا ولدى أنَّ أقْدَامَهُمْ فى الشرق قد ثَبتتْ ، وخُيِّلَ للمستعمرِ أن شُعْلَةَ الحريةِ والمجدِ فى البلادِ قد انطفأتْ ، وكانَ الشعبُ فى أعماق نفسِهِ يهتف قائلا: « أمَّا لِهذَا الظُّلمِ مِنْ آخرٍ.. ؟!! أما لهذا الليلِ من فَجْرٍ ؟!! لقدْ نَسِىَ اليهودُ والملكُ والمستعمرُ أن تَحْتَ الرماد وميضَ نارٍ ، يُوشِكُ أنْ يَشْتَعِل ».

كانَ الأحرارُ مِنَ الضُّبَّاطِ ثائِرينَ من أجلِ ذلك كُلِّهِ ،كانُوا يَبْحَثُونَ وَيَعْمَلون فى كِتْمانٍ شَدِيدٍ. كانُوا يَرْقُبونَ الفُرصَةَ لِيَضْرِبُوا الضربةَ الصحيحةَ ، التى لا يعتَريها خَلَلٌ أو خطُأٌ فى الوقْتِ الْمُنَاسِب .

وأخيرًا خرجَ العملاقُ من سِجْنِهِ وَخَرَجَت ثورةُ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ مِنْ مكمَنِهَا لِتُعْلِنَ حقَّ الشعبِ فى حُرِّيتِهِ وحقَّ الشعبِ فى وطنِهِ ، وحقَّه فى حياةٍ حُرَّةٍ كريمة ، وحقَّهُ فى أنْ يأْخُذَ مكانته تحتَ الشمس ، وفىِ ركْبِ الحضارةِ والتقدم .

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) ما التحفظات الأربعة التى جاء ذكرها فى العبارة الأولى؟

٢) وضح أحوال الأحزاب المصرية بعد إلغاء الحماية البريطانية.

٣) لماذا دخل الجيش المصرى أرض فلسطين؟

٤) ماذا تعرف عن قصة الأسلحة الفاسدة؟ ومن الذين زودوا الجيش المصرى بها؟

٥) متى قامت الثورة المصرية؟ ومن الذين قاموا بها؟

جاءَت ثورةُ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وقد عَزَمتْ على أن تَتَخَلَّص من كلِّ دخيل مستَعْمر جاءَت تقول:

واللهِ ما دُونَ الجلاءِ ويوْمِهِ يوْمٌ تُسَمَّيهِ الْكِنَانَةُ عِيدًا أمامَ هذا الفَجْرِ الجديدِ وهذا التَّطَور الحميدِ ، وأمامَ هذهِ الإرادَةِ القويَّةِ والإصرارِ الأكيدِ ، وأمامَ هذا التضامُنِ الشعبيِّ الذى لا مثيلَ له ، لم تجدْ بريطانيا مَفَرا مِنْ أنْ تعْقِدَ مَعَ مِصْرَ معاهدةَ الْجَلاء ،لترْحَلَ عن البلادِ لأوَّلِ مرَّة بعد اثنين وسبعين عامًا قضتها فى تدخُّل معَيب فى شئون البلادِ ، وتَمَّ ذلك فى يوم مبارك هو ١٩ من أكتوبر ١٩٥٤.

ووقَفَ زعيمُ الثورةِ[١] يخطب قائلا:

"إِننِى أسْرَحُ بخَواطِرى فى هذه اللحظةِ المجيدةِ عبْر أسوَارِ الحياة. إلى الذينَ جَاهدُوا من أجل هذا اليوم ، ولمْ يَمْتَدَّ العُمْرُ بهم ليعيشوه، إننى أتجِهُ بقلبِ شعب ، وأتجِهُ بوفاءِ جيلٍ إلى الزعماء الذين كَافَحُوا إلى أحمد عرابى، ومصطفى كامل، ومحمدِ فريد، وسعدِ زغلول ، وإلى الشباب الذينَ باعُوا أرْواحَهُمْ للفداءِ، وعلى كلِّ بُقْعَة من ثَرَى الوَطَن ، أتجِهُ إليهم وأقولُ لهم سوف ، نَمْضِى على الطريق ، لَنْ نَضْعُفَ وَلَنْ نُخْذَلَ ولنْ نَنْسَى الأمانَةَ التى حَمَلْنَاهَا ، ولا الواجِب الوطنى الذى عاهدنْا الله عليه".

ورحَلَتْ بريطانيا عن أرضِ الوطن، فإِذَا فَجْرٌ جديدٌ وبعثٌ جديدٌ يتجِهُ بنا نحوَ مُسْتَقْبَل باهرِ مَجيد.

وانطلَقَتِ الثورةُ بعد ذلك فى طريقِ الإصْلاَح ... طريقِ البناءِ والتعمِيرِ ، وانطلقتْ تشيدُ دعائم القوةِ والعظمةِ والرَّفاهيةِ ، مُعْلِنَةً أن الصناعاتِ الثقيلةِ دعامةٌ قويةٌ من هذه الدعائِم ، وسبيلنَا إلى ذلك قوةٌ كهربيةٌ محركةٌ تتولدُ من مياهِ السد العالى المتدفِّقةِ ، وحديدٌ راقدٌ فى أرضِ مصر مُنذ الْقِدَم.

اندفَعت الثورَةُ إلى إطلاقِ هذه القُوىَ النافعةِ من مكْمَنِهَا ، بعد أن ظلتْ حَبيسَةً فى مواضِعها عشراتِ السنين.

جاءَت الثوْرةُ وهى تؤمِنُ أن الحرَّيةَ فى أمة فقيرةٍ تستجْدِى أقواتَهَا من غَيْرها ، وتعيش عبئًا على سِوَاها ، ولا يجدُ أبناؤُها ما يُمْسِك الرمَقَ[٢] وما يَسْتُرُ العَوْرَةَ. هى حريَّةٌ كاذبةٌ تفر من الشعب عندَ الشِّدَّةِ. أما الحريةُ التى تَحْمِيها المزارعُ والمصانعُ فهى حُرِّيةٌ مصُونةُ[٣] الجانبِ: يَرْهبُها الأعداءُ ، ويحرِصُ على صداقَتِهَا الأصدقاء.

وسار موكبُ البناءِ والتعمير نحو أهدافِهِ بخطى واسعةٍ سريعةٍ ، وتحققَ مشروعُ السدِّ العالى ، هذا المشروعُ الخطيرُ فكانَ فى تحقيقهَا له نَفعٌ عَظيمٌ ، يشملُ الجمهوريةَ فى كِيانِها العام ، والفردَ فى مستوى

---

(١) هو الزعيم الراحل عبد الناصر

(٢) يمسك الرمق : يحفظ النفس والحياة

(٣) مصونة : محمية ومحفوظة

معيشتِه . لقد كان المشروع انقلابًا شامِلًا ، يُحقِّقُ الرفاهيةَ للأفرادِ والجماعاتِ ، ويدفَعُ الأمةَ كلهَا إلى اللِّحاق بموْكبِ الدوَل الصناعَيةَ الكبرى.

وسَارَ مع هذا الانقلابِ الصناعِيِّ انقلابٌ زِرَاعىٌ ، يشملُ كل أرجاءِ الوطنِ العزيز ، تَنتزِعُ به من صحارِينَا وأرضينا الجرداءِ ملْيونَيْن من الأفْدِنَةِ ، ويُحَولها هذا السدُّ إلى أرضٍ زراعيةٍ خصبة تُنْتِجُ من الغَلاَّتِ أوفَرَها ومن الثمراتِ أطْيَبَهَا. هذا مع ضمانِ زراعةِ سبعمائة ألف فدان من الأرزِ كل عام، مهْمَا انخفضَ إيرادُ ماءِ النهرِ، الأمرُ الذى يجعَلنا من أكبر الدولِ المصدِّرةِ للأرزِ ، وبهذا لا تعتمِدُ بلادُنا على القطْنِ وَحْدَه.

وَهَا هُوَ ذَا مَوْكِبُ البِناءِ والتعْمِيرِ يسيرُ نحوَ غَاياتِهِ ، لِيُشَيِّدَ دَعائِمَ نهضةٍ شامِلَة ، تُحَقِّقُ للوطن العربىِّ العزَّة والرِّفْعةَ والرفاهيةَ.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) متى تم جلاء الإنجليز عن مصر؟

٢) من الزعماء الذين جاهدوا للحصول على الجلاء ولم يشهدوه؟

٣) ما المقصود بالفجر الجديد، والبعث الجديد؟

٤) ما المشروع العملاق الذى نفذته الثورة؟ وما أثره فى الصناعة والزراعة؟

٥) **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :**

أ) كان جلاء الإنجليز عن مصر بعد خمسة وثمانين عاماً . ( )

ب) اهتمت الثورة بالصناعة وبخاصة الصناعات الثقيلة . ( )

ج) الحرية الحقيقية هى الحرية الاقتصادية . ( )

د) أصبحنا نستورد الأرز من الخارج لأن إنتاجنا لا يكفينا. ( )

هـ) من الزعماء الذين لم يشهدوا يوم الجلاء (السادات) . ( )

أممت[١] مصر شركة قناة السويس، فكان ذلك حدثًا عظيمًا وعيدًا مجيدًا، فإذا البَهْجَةُ في كلِّ مكانٍ والفَرْحَةُ على كلِّ لسانٍ وإذا الابتسامةُ تغْمُرُ كلَّ وجْهٍ، وإذا النَّشْوَةُ تملأُ كلَّ قلبٍ.

لقد عَمَّتِ الفرحَةُ الكبرى أرجاءَ البلاد ... وكيفَ لا تَعُمُّ ، وقناةُ السويس قد رُدَّتْ إلينَا بعدَ غيابٍ طويلٍ ويأْسٍ مريرٍ؟ وجهادٍ شاقٍّ طويل؟

أمَّا فى أوربة فكان الحالُ على نقيضِ [٢] ذلك، فقَدْ خَيَّم الحُزنُ على كلِّ رُكْنٍ ، وغابتْ الابتسَامَةُ عن كلِّ وجْهٍ ، فكانَ فى كلِّ صدرٍ زَفَرَاتُ حزنٍ دَفِينٍ.

واجْتَمَعَ رِجَالُ السِّيَاسِة فى أوربة للتَّفْكِيرِ فى هذا الحَدَث الخطِيرِ ، و للتآمُرِ على مْصِرَ لإعادةِ قناةِ السويسِ إليهم كما كانتْ.

حاول الاستعمارُ بطُرُقهِ المُلْتوِية المختلفةِ أن يُقيمَ الدُّنْيَا وَيُقْعِدَهَا ، ويثيرَ العَالمَ كُلَّهُ ضِدَّنا ولكنَّ مَنْطِقَ مصرَ كانَ أقْوَى مَنْ سُلْطانِ المستعمرِ ودَهائِهِ وَدَسَائسه.

ولما فَشِلَ المُسْتعَمِرُ أمامَ الحقِّ والعدْل لجأ إلى مَنْطقِ الحَدِيدِ والنَّارِ، فإذَا ثلاثُ دُوَلٍ تغزُو بأساطِيلها ومدمَّراتها وطائِراتها وغوَّاصاتِها مصرنَا الحبيبةَ ، وقدَّرُوا لهذَا الغَزْوِ ستةَ أيام يقبِضُونَ بعدَها على زِمَام الأمُور ويُعيدُونَ بعدَها القناةَ إلى حَظيرتِهم كما كانتْ أولَ مرةٍ.

ولكنَّ أبْناءَ هذا الشعبِ ، وقَفوا يستَقبلُون هذا العُدْوَانَ فى صَبْرٍ وعَزِيمةٍ وإيمانٍ.

أقْبلَتْ كَتَائِبُ "الشياطينِ الحُمْرِ" كَمَا كانُوا يُسمُّونَها تهبِطُ بمظَلاتِها من الطَّائِرات ... فَإذَا أبناءُ مِصرَ جنودًا وشعبًا ، صغاراً وكبارًا، نِساءً ورجالاً، يَسْتَقْبِلونَ هؤلاءِ الغَادرينِ ببنَادِقِهمْ ومَدَافِعهم الرشَّاشةِ ، لاَ يهابُونَ ولاَ يخافُونَ شيئاً ، وإذا جنودُ الدُّوَل العُظمى تلقى مَصْرَعَها قبلَ أن تنزلَ إلى أرْضِ الوَطَنِ ، لاَ بيدِ المُدرَّبينَ فقط ، بل بيدِ الشَّعبِ الذَّائد عن وطنِه ، والمتَحَمس لِشَرَفِهِ وكرامَتِه أيْضًا.

لقد انتصرَ هذا الشعبُ ؛ لأن الشجاعةَ تملأُ نَفْسهُ. والإيمانَ يملأُ قَلْبَهُ ، والعزيمةَ تملأُ صدْرَهُ ، وهناك شيءٌ آخر سَرىَ فى دمِهِ عَبْر الأجيال والقُرون الَّتى مَضَتْ هذا الشيءُ هو سِرُّ البَقَاءِ والخُلودِ.

سَرَى هذا السرُّ فى دَمِ الشَّاويش محمد. وسرَى فى قلْبِ فتياتِ مكتب بورسعيد، سرى فى أعصابِ الضابط البحرىِّ جلالِ الدسوقى. وسرَىَ فى عَقْلِ الطالبِ الجامِعِيِّ " جواد حسنى " .

---

(١) أممت : جعلتها ملكا للأمة بعد أن كانت ملك للأجانب .

(٢) نقيض : عكس أو خلاف .

وسَرَى هذا السِّرُّ فى دَم كلِّ فتىً وكلِّ فَتَاةٍ ، فكُتِبَ لمصرَ فى بورسعيد النَصرُ والخلودُ.

كان (الشاويشُ محمد) فلاحًا ، طويلَ القامةِ ، أسمر اللَّونِ ، صعيدىَّ المَنْشَأ، وعندما جاءَ العُدْوانُ الثلاثىُّ الغادرُ كان فى إجازةٍ بين أهلهِ وقومهِ وما أن سمِعَ بهذا العُدوانِ ، حتى قطَعَ إجَازتَهُ وذهبَ مُسْرِعًا إلى فَصيلَته فى قطاع فِلِسْطِين ليؤَدِّىَ واجبَهُ.

وبالقُربِ مِنْ مَوْقعِ القِتَالِ عَرَف أنَّ قُوتَهُ التى يعملُ معهَا اشتَبَكَتْ فِعْلًا مع اليَهُودِ ، فَرَاحَ يبحَث عن سيارةٍ تحمِلُه إلى مَوْقِع فِرْقَتِهِ.

وَعَثَرَ على سيارةٍ كانت ذاهبةً إلى "القُصَيِّمةِ" فقفزَ إليهَا بسرعة ، وانطَلَقتْ بِهِ.

وفى أبى عُجَيْلَة أوْقَفَ البوليسُ الحربىُّ السيارةَ ، ومَنَعَهَا من التقَدُّمِ ، لأنَّ الضَّرْبَ على أشُدِّه فى "القُصيمةِ". ولمْ يَنْتَظِرِ الشاويشُ محمدٌ بل قفزَ من السيارةِ ليذهب إلى خَط النارِ.

ووصلَ إلى المَوْقِعِ وكان جنودُهُ فى انتظارهِ ، وفى انتظارِ توجيهاتِهِ وتعليماته وآرائِه.

وألقى بملابِسِهِ وارْتَدى ملابِسَ المَيْدَانِ .. وكانتِ التَّبَّه "١٨٣" تعيشُ تحتَ وابلٍ من طَلَقَات مَدَافِع العدُوِّ ... مدافعِ الأرضِ .. ومدافع السماءِ فإن الطائراتِ المحلِّقةَ لم تكن ترحمُهُم لا من قنابلها ولا من مَنْشُورَاتِها.

كانَت الطَّائراتُ اليهودِّيـةُ تُلقى عَلَيْهِم مَنْشوراتٍ مستمرةً تُطـالِبُهُم بالتَّسليم والاسْتسْلامِ والكفِّ عن القِتَال : وأصدَر الشاويشُ محمدٌ أمرَهُ إلى جنُودِه بعدَم قراءة أى منشورٍ. وبدأ ميكروفونُ الطَّائرةِ يُذيعُ على القُوَّاتِ المصريَّةِ فى الموقع شُرُوطَ التَّسْليم ولَم تَهتَز شَعْرَةٌ فى رأسِ محمد .

كانَ يَروحُ ويغدُو بينَ جنودِهِ يَبُثُّ [(١)] فيهم مِنْ رُوحهِ وثَباتِه وجُرْأتِهِ ... وكانَ يساعِدُهمْ على اختيارِ الأماكنِ المناسِبة.

وَثَبَت الموقعُ المصرىُّ أمام مدافعِ اليهود وقذائفهِمْ ، وأحسَّ الشاويشُ محمدٌ أنَّها ليلةٌ من ليالى العُمْر .. وطافَ بجنُودِه يسألُهُمْ عن أحوالهم.

وكَان يَتَلَمَّسُ شَيْئًا يَبْعَثُ فيهمُ الأملَ .. وجاءَت النَّجْدَةُ من السَّماءِ.

حَلَّقَت قَاذِفةُ قنابلَ فوقَهم ... واقتربتْ منهم ، وأطلقَ عليها الجندىُّ صالحٌ .. مدفعةُ البلانسِيت .. وكانَ يعْرِفُ أنـهُ مِدْفَعٌ مُضَادٌّ للدَّبَّابَاتِ ... ولكنَّـهُ عَرَفَ أيضًا أنـهُ من الممكِنِ استخدامُهُ ضدَّ الطـائراتِ عندما تقتَرِبُ منه.

---

(١) يبث : ينشر والمضاد : (يطوى).

وَسقَطَت قَاذِفَةُ القَنابل .

وَهَتَفَ الجنودُ جَمِيعًا : "اللهُ أكْبَرُ".

لقَدْ هَبط عليهم من السماءِ أملٌ يعيشُون عليه،حتى الصباح ، وكانتْ ليلةً حالِكةَ السَّوادِ.

لم تَكُف [١] المدْفَعيةُ لَحْظَةً واحدةً ... وبَقِىَ كلُّ جُندىٍّ فى مَكَانِهِ ، أمَّا الشاويشُ محمدٌ فكانَ فى كلِّ مكان ، وانتصفَ اللَّيلُ ، ولَاحَتْ عَنْ بُعْدٍ سياراتُ العدُوِّ المصفَّحةُ فى طَرِيقِهَا إلى الموقع ، وأصدَرَ الشَّاويش محمَّدٌ أوامِرَه بِعَدِم الحركةِ والثباتِ والكفِّ [٢] عن إطلاقِ النيرانِ.

وتَقَدَّمتِ المُصَّـفحَاتُ ... ووصـلَتْ إلـى بُعْدِ أمتـار مـن التَّبَّـة وتَخَطَّـتْ مُصَـفَّحتَان مِنهـا الأسـلاك الشائكةَ.

وفَجْأةً أصْدَرَ الشَّاويشُ محمدٌ أمْرَهُ بالضربِ ، وانطلقتْ كلُّ مَدافِع الموْقِع صَوْبَ مُصَفَّحاتِ العدُوِّ واشتَعَلَتِ النِّيرانُ فى سيارَتَيْنِ منها وانسَحَبَتْ بقيَّتُهَا وشدَّدتْ مِدْفعيَّةُ العدُوَّ الضرْبَ.

واستمرتِ المعْرَكَةُ ساعةً كاملةً ... ثُمَّ بدأتْ تَخِفُّ حدَّتها . وعاد الشاويشُ محمدٌ يطوفُ بجنودِه، يَشُدُّ على أيْديهم ويُقَوِّى مِنْ عَزائِمِهِم ... وفجأةً بدأ موكِبٌ جديدٌ من مُصَفَّحاتِ العدُوِّ .. كان حشداً أكبر مِنَ الأوَّل.

وفعَل بِهِم هذه المرَّةَ كَمَا فَعَلَ فى المرَّةِ الأولَى ، واستَمَرَّ الاشْتِبَاكُ أكثرَ مِنْ سَاعَتْين ... ثُم بَدَأَ العدُوُّ ينسحِبُ مرَّةً أخرى تاركًا جَرْحاهُ ومُصَفَّحاتِه.

وعادَتِ الطائِراتُ بأصْواتِها وقذائِفها.

ومع الفجرِ بدأتْ معركةٌ جديدةٌ ، لم تَنْتَهِ إلا بعد السابِعةِ صباحًا.

وبدأت خسائِرُ العَدُوِّ تلوح [٣] أمامَ جنودِنا الشُّبَّان ، وتملأ أرْوَاحهُم بالعزيمةِ والصَبْرِ والإيمانِ.

وعلى ضوْءِ النهارِ أخذَ الشَّاويشُ محمدٌ يُحصِى قواتهِ وخسائِرَه.

لَمْ يَخسَرْ جُنْدِيًا واحدًا .. كانُوا كلُّهم فى أمَاكِنهِم وَارتَفَع صوْتُ الشاويشِ محمد يَعُدُّ خسائرَ اليَهُودِ.

اثْنَتَا عشرةَ مصفحةً ومائَتَا قَتِيل.

وعادَتِ الطائراتُ اليهُوديَّةُ تَحْمِلُ إنْذَارًا بالتَّسْليم إنذاراً بالمنْشُوراتِ ، والْتَفتَ الشاويشُ محمدٌ إلى قُوَّاتِه

---

(١) تكف : تمتنع وتتوقف .

(٣) الكف : الامتناع .

(٣) تلوح : تظهر .

يأمُرُهُمْ من جديدٍ بالاستْعْدَادِ ليوْمٍ جديدٍ ومعركةٍ جديدةٍ.

وَعَلِمَ وقْتَئِذٍ قائدُ الجيْشِ بقصةِ الشاويش محمد ، فأمر بترْقِيته إلى رُتْبَةِ مُلازمٍ ثانٍ.

***

وكَمَا سَرَى سِرُّ المجْدِ والخُلُودِ فى دَم الشاويْشِ محمدٍ ، سرَى أيضًا يا ولدى فى قلْبِ فتياتِ مكتب البَرْقِ ببورسعيد ، فإذا هُنَّ شعلةٌ من الحماسةِ الخالصَةِ وتيارٌ مُتَدفِّق من الوطنيَّة الصادقَةِ.

أقبلَ الإنجليزُ نحوَ هذا المكتبِ ليسْتَوْلوا عليه ، وليَقْطَعُوا البَقيَّةَ البَاقِيةَ من سُبُلِ المواصلاتِ التى تربطُ بين القاهِرةِ وبُورسعيد ، ولكنَّ فتيَاتِ هذا المكتبِ أو كما نسمَّيهنَّ "الفدائيَّات الأرْبعُ" ومَن بَقِىَ مَعَهُنَّ من الموظفينَ أصرُّوا على عدَم التسليمِ مهمَا كَان الثمن.

وسدَّدَ الإنجليزُ نيَرانَ مَدَافِعِهم ، وبدأ الضَّربُ فى مكتبِ البرْقِ ، فإذا الفتياتُ الفدائياتُ يُطْلِقْن مَدَافِعَهُنَّ الرشاشةَ دفاعًا عنه. وأقبلَ شباب المقاومةِ الشعبية نحوَهُنَّ لمساعَدتِهنَّ ، فازدَدْنَ حماسةً ودفاعًا ، لجأ الإنجليز والفرنسيونَ إلى أساليبِ المَكْرِ وَالخدِيعَة ، فرفَعوا الرَّايةَ البيضاءَ فوقَ هذا المكتبِ ، ليوُهِمُوا رجالَ المقاومةِ الشعبية – الذين كانوا يسدِّدُونَ نيرانَهُمُ الحاميةَ على دبابات العدو من نوافذِ المنازل المجاورَةِ – أن فَتياتِ المكتبِ قد استسْلَمْنَ وانتهى الأمْر.

أدركَتْ واحدةٌ منْهُنَّ حقيقةَ الرايةِ البيضاءِ ، وما وراءَ ذلك من خديعة ، فنبَّهَتْ زميلاتِها ، فَعُدْنَ يُرْسِلْنَ إلى دبَّابات العَدُو وابلاً من رصاص مدافعهنَّ الرشاشةِ.

وَعِنْدَئِذٍ أدْرَك رجَالُ المقاومَةِ الشَّعْبِيَّةِ فى المنازِلِ المجاورةِ أن الفتياتِ الأربعَ لم يطْلبْنَ التسليمَ ، وبذلك عادت المقاومة من جَدِيدٍ حتى صدرتِ الأوامُر المعروفة بوقْف إطلاقِ النار من الطرَفيْن.

هذا هو سِرُّ النصْرِ وِالخُلودِ الذى سَرَى فى قلْب الفتيات الفدائيَّات الأربعِ ، فَخَلقَ منهُنَّ خلقًا جديدًا وأسطورةً تَتَغَنَّى بها الأيامُ.

وَسَرَى سِرُّ المجْدِ وَالْخُلودِ فى دَم الضَّابِطَيْن البحريَّيْن: جلال الدسوقى ، وعلى صالح، فإذا كلٌّ منهما قوةٌ خارقةٌ ، وفدائىٌّ يذاعُ اسمهُ على مرِّ الأيام والأعوامِ. خرَجَ جلالٌ الدسوقى فى زَوْرَقِه إلى عرضِ البحر، فى سُرعةٍ رهيبةٍ بعد أن أصدر أوامرَه إلى زورَقَيْن آخريْن باقتفاءِ أثرِه.

انطلَق هذا الفِدَائِىُّ إلى سُفُنِ العدوِّ ، وكانتْ قد حُشِدَت أمام بحيرةِ البُرُلُسِ وما إنْ رآها حتى اختارَ منها أقواها بطشًا ، وأكثرهَا رجالًا ، وأثقلَها وزنًا ، وكانتْ طَرَّادَةٌ فرنسيُةٌ تُفاخِرُ بها فرنسا ، تَعُدها من خيرِ ما تمِلكُ من قطعٍ بحرية.

دارَ حَوْلَهَا الفدائِىُّ جلالٌ الدُّسوقى وسَدَّدَ نحوَها "طوربيدًا" جعلَها تتمايل يَمْنَةً ويَسْرةً، وبحارَتُهَا من

فوقها يَصِيحُون ويَصرخون. وفى دَقَائقَ معدوداتٍ شبتِ النارُ فى جوانِبِها وبدأت تَغوصُ إلى أعماقِ البحر. وعادَ هذا البطلُ وخَلْفه زوارقُ الطوربيدِ المصريةُ ، وفى أثناءِ عودتِها رأتْ من بُعْدٍ مُدَمِّرةً فرنسيَّة أخْرَى.

وما هىَ إلا لَحظَات حتى اندَفَعَ زَوْرَقٌ آخرُ بقيادةِ زميلِهِ "على صالح" نحوَ المدَمِّرَةَ الثانيةِ. فدَاعَبَها "بطوربيد " من زَوْرَقِهِ لينالَ الشرفَ الذى نالهُ زميلهُ الفدائىُّ جلال الدسوقى.

واستقرَّ "طوربيدُ[١]" على صالح فى المدَمِّرَةِ الثانية ، فإذا هى تَغوصُ بدَوْرِها فى أعماقِ الماءِ.

وفى طريقِ العودَةِ رأى البطلان الْفِدَائيَّانِ سرْبًا من اثنتى عشرةَ طائرةً تُحَلِّق فوق رءوسِهِمْ وإذا قنابلُها تَدُكُّ الزَّورقين دكا.

ولكنَّ أبطَالَنَا أبَوْا إلا أن تكون لَهم معركةٌ مع الطائراتِ كما كانت لهم معركةٌ مع المدَمِّرَاتِ ، فأطلقوا نيرَانَهُمْ ودافعُوا عن زَوَارِقهمْ دِفَاعَ الأبطالِ ، ولكنَّ سربَ الطائَراتِ انقَضَّ عليهمْ انقضاضَ الصاعقةِ ، والرصاصُ يتساقَطُ عليهم من كلِّ جانبٍ.

كانَ فى مَقْدور البَطَلَيْنِ ومَنْ مَعَهُما أن يَقْفِزُوا إلى الماء هربًا ، ولكنَّهُمْ فَضَّلُوا البقاءَ فى زَوَارِقِهِم وأن يَغوصُوا مَعَهَا إلى الأعماقِ شُهَدَاءَ أبرارًا بَعْدَ أن ضرَبَ كلٌّ مِنْهُم للأجيالِ القادِمَةِ خيرَ الْمُثلِ فى التَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ.

***

وسرى سِرُّ البقاءِ والخُلُودِ فى دَمِ الطالبِ " جوَّادِ حُسْنى " ، فانطلقَ فى ركابِ الحرسِ الوطنىِّ يُلبِّى نِدَاءَ الوطن ، عندَمَا وقَعَ العدوانُ الثلاثىُّ الغادِرُ على وطنِه الحبيب.

وذاتَ مَسَاءٍ تسلَّلَ "جَوادٌ"من بين أفرادِ كتيبتِهِ – وكانتْ مرابطةً عند الكيلو ٣٩ فى طريق الكابِ شرقىِّ قناةِ السويس– تَسَلَّلَ مُنْفَرِدًا وَاتخذَ مَوْقِعًا يُشْرِفُ على كتيبةٍ فرنسيةٍ كانتْ بالقرْبِ منهمْ ، وَأَخَذَ "جوادُ" يُطْلِق النارَ بعُنف من مدْفَعِه الرشاشِ ، فذُعِرَ الفرنسيون ، وخالوا أنَّهمْ أمامَ فرقة كاملة من الفدائيين. وعندئذٍ حاصرُوا الموقعَ الذى تنطلقُ منهُ النيرانُ بالدبابات والسيارات المصفحةِ ، وسددُوا مدافعهم نحوَ جوادٍ.

وظلَّ البطلُ يُطْلِقُ النيرانَ طِوَالَ الليلِ ، وفجأةُ توقَّفَ مِدفعُ " جوادٍ " لقدْ أغْمى عليه مِنْ فرطِ ما نزفَتْ جِرَاحُهُ من دماءٍ ، وتقدمتِ المصفَّحاتُ والدباباتُ الفرنسية نحوَ البطلِ ... وصُعِقَ الفرنسيون عندما وجَدُوا أنفسَهمْ أمامَ فِدَائىًّ واحدٍ ، لا أمامَ فرقَةٍ كما تصوَّرُوا.

---

(١) سرباً : مجموعة ، والجمع : (أسراب).

فدائِيٌ واحدٌ من شبابِ مصرَ ، سرَى فيه سر المجدِ والخلودِ يا ولدى ، فإذا به قوةٌ صاعقةٌ ونارٌ مُحرقةٌ يعملُ العدوُّ لها ألف حِساب.

ونُقِلَ "جوادٌ " إلى معسكر الأسرِ ببورفؤاد ، وطَلَبَ منهُ الفَرنسِيون الإدلاءَ بأية معلومات عن مواقع الفدائيين المصريينَ ووعدُوهُ بإطلاقِ سَرَاحِهِ إنْ هُوَ أدْلَى إلَيْهِم بهذهِ المعلومات ... ولكن البطلَ لاذَ بالصمْتِ[1]

وصدرت الأوامرُ باستعمال أبشع وسائل التعذيب مع " جواد " لكى يتكلم، كى يبوح بأسرار بلاده، فكان الحرق بأعقاب "السجائر" وكان الوخز "بالسونكى"والربطُ بالحبال والكىُّ بالنار، ولكن جوادًا لم يتكلم ، بل مد إصبعه الواهن فى واحد من جروحه المتعددة ، وغمسه فى دمائه الطاهرة وأخذ يسطر على الحائط قصته ... بعبارة كتب لها الخلود نذكرها فيما يلى:

"يا أخى :

اسمى " جوادُ " طالب بكلية الحقوق .. فوجئت بالغرباء يقذفون أرضى بالقنابل ، فنهضتُ لنُصرة وطنى وإنقاذ أرضى .. والحمد للهِ .. لقد شَفَيتُ غليلى فى أعداء البشرية وأنا الآن سجين وجُرحى ينزف بالدِّماء ... أنا الآن فى معسكر الأعداء .. أنا هنا أتحمل كل وسائل التعذيب والإرهاب .. لكن يا ترى هل أعيشُ؟..ليس المهم أن أعيشَ .. وإنما الأهمُّ أن أرى النصر ، وأن أشهد هزيمة الأعداء".

ولَمَّا يَئِس الأعداءُ مِنْ أن يَبوحَ لهُمْ بشىءٍ من أسْرَار زملائِه فى فرقة المُقَاومَةِ الشعبيَّةِ أطلقُوا عليه نيرَانَهُم ، ليُخْمدُوا أنفاسَهُ إلى الأَبد .... ولكنْ بقيتْ روحهُ تشهَدُ بعظمةِ أبناءِ مصرَ .. وعظمةِ شَبَابِهَا.

بهذه الروح القَوِيَّةِ ، وبسِرِّ البقاءِ والخلودِ الذى يَسْرِى فى دم كلِّ مصرى ، كُتِبَ لمصرَ النصرُ المبينُ. لقد استطاعتْ كتائبُ المقاومةِ الشعبية أن تصنعَ المعجزاتِ، لقدِ استطاعُوا أن يَغْلِبُوا بريطانيا وفرنْسا وإسرائيلَ ومعهم البقيةُ الباقيةُ من الدول الاستعمارية. لقد استطاعتْ كَتَائِبُ الشعبِ أن تَقْتُلَ الآلافَ من الجُنودِ وتدمِّرَ الآلاف من عدَدِه وعتادِهِ ، وتُسْقِط الكثيرَ من طائراتِه ، وتغْرِقَ الكثيرَ من مدمِّراتِه.

لقد قال "كِتْلى" قائدُ القوَّاتِ البريطانيَّةِ والفرنسيةِ والإسرائيليِّةِ :

سأضربُ مِصرَ بلا هَوادَة أو شفقة، حتى تَقَع ذليلةً وَتُقْلِع عن كِبْريائِهَا.

ضَرَبْتَ يا "كِتْلى" مصرَ بطائراتِكَ ودبَّاباتكَ وأساطِيلِك، فماذا جنْيتَ؟ وماذا كانَ مصيرُك؟

ضَرَبْتَ مصرَ يا "كِتْلى" بلا هَوَادة [2] أو شفقة ، وفَعَلْتَ كلَّ ما يَحلُو لك .. فماذا وجدْتَ من شَعبِ

---

(١) رمم : المفرد(رمة) وهى العظام البالية .

(٢) بلا هوادة : بلا ضعف .

مصر؟

لقد وَجَدْتَهُ أثبتَ من الجبالِ وأصلبَ من الحديدِ والفولاذِ ... لم تُرْهِبهُ غَوَّاصَاتُكَ ولم تخِفْهُ طائراتُكَ ولم تُرْعِبهُ مُدَمراتُك ... لقد آمنَ شعبُنا يا "كِتْلى"بنفسه وانطلقَ يُلقِن جنودك دَرْسًا لن يَنْسَاه الأحياءُ مِنْهُمْ إلى الأبد. لقد حملَ عليهم حملة رجلٍ واحد ، فإذا جنودُ الدولتَين العظيمتين رِمَمٌ [1] سابحةٌ فى الدماءِ ، وجثثٌ طافيةٌ على صفحات الماءِ ، وصَرَخَاتٌ تَتَرَدَّدُ فى أرجاءِ الفضاءِ. وإذا الشعبُ المصرِىُّ يا ولدى يُرَدِّدُ نشيدَ النصرِ، ويملأ أسماعَ الدنيَا بأمجادِه ، وانتصاراتِهِ ، فاضْطُرَّتْ جُيُوشُ الأعداءِ أنْ تَنْسَحِبَ من مصرَ وتعودَ من حَيْثُ أتتْ.

بذلك حَمَى شَعْبُنَا المجيدُ بلَدَه وأرضَهُ وقناتهُ والعروبَةَ كلَّها.

بذلكَ ارتفعَ عَلَمُ مصرَ خفَّاقًا فى أرجاءِ الفضاءِ ، يَحْكى للأجيالِ القادمةِ قِصَّةَ كِفَاحِ هذا الشَّعبِ المجيدِ.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) ما معنى تأميم قناة السويس ؟ وما أثر ذلك التأميم فى المصريين؟

٢) لماذا اجتمع الساسة فى أوروبا؟

٣) ما الدول التى غزت مصر فى عام ١٩٥٦؟

٤) وضح دور كل من هؤلاء الأبطال فى صد العدوان الثلاثى على مصر.

(الشاويش محمد – فتيات مكتب بورسعيد للبرق – الطالب جواد حسنى – جلال الدسوقى و على صالح)

٥) اذكر السر الذى سرى فى دماء هؤلاء الأبطال السابقين. وما أثره؟

٦) **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :**

أ) قدر المستعمرون للغزو ستة أيام يستولون فيها على القناة. ( )

ب) خسر (الشاويش محمد) معركته فى "القصيمة". ( )

ج) عمد العدو إلى رفع الراية البيضاء فوق مكتب البرق فى بورسعيد. ( )

د) ظل (جواد حسنى) يضرب العدو حتى ظنوه فرقة كاملة. ( )

---

(١) رمم : المفرد(رمة) وهى العظام البالية .

عادَتْ إسرائيلُ تُهاجمُ مِصرَ مَرَّةً أخرى ، ومِنْ ورائهَا الدولُ الاسْتِعْمارِية ويهُودُ العَالمِ يؤيَدُوَنَها بكلِّ السُّبلِ والوسائِل.

وكانَ هذا الهجوم [1] على مصرَ مُفاجأةً ونكْسَةً وَصَلتْ بها إسرائيلُ إلى شرقيِّ قناةِ السُّويس بعد أن خسرِ الجيشُ الْمِصرِيُّ أَكْثَرَ معدَّاته وذخيرتِه.

ولكنَّ شعبَ مِصْرَ الخالدَ أَبَى [2] الخضوع والاستِسلاَم ... أبى أن يقبلَ النَّكْسَةَ والهزيمةَ ... أبى الذُّلَّ والهوانَ ، لأنه شعبٌ صُلْبٌ بتكوينه ، عظيمٌ بأصلِه ، عزيزٌ بِطبعِه ، قويٌّ بعزيمتِه وإرادتِه.

لَقَدْ صَمَدَ الشَّعبُ المصريُّ وأعلنَ فى يومى ٩، ١٠ من يونية سنة ١٩٦٧ أنه لن يستسِلمَ لهذه النَّكْسة والهَزيمِة ، وصاحَ بأعْلَى صَوتِه فى كلِّ مكانٍ قائلاً: « لنْ يُرْهبَنَا [3] العدوُّ بطائراته » .

وبدأت مصرُ تعيدُ بناءَ جيشها بعد نكْسةِ يونيو ١٩٦٧م ، راحت تُسلِّحُه بأحدثِ الأسلحة وأحسنِها ، وراحتْ تُنَظِّمُه بأحدثِ أساليبِ الحَرْب والقتال ، وراحتْ تُدْخِلُ فيه العناصرَ المتعلِّمَةَ لتزيدَهُ وعْيًا وإدراكًا للرِّسالةِ المُلْقَاةِ عَلَيْهِ.

وظَهَرَتْ بَوَادِرُ العَزْم والصمُودِ فى مظهريْن هامين: الأول فى إغراقِ المدمِّرةِ البحرية (إيلات) بطُورْبيد مصرى ، عندما اقتربت من السَّواحِل المصرية ، فَتَحَطَّمَتْ أجزاؤُها وتَنَاثَرت فى الماءِ وابتلع البحرُ رجالَهَا وجنودَها ، وأدْرَكَتِ البحريةُ الإسرائيلية أن سلاح مِصْرَ البحرى يُعْمَلُ له ألفُ حِساب ، والأمر الثَّانى ، هذَا الصُّمودُ فى هزيمِة إسرائيل فى مَوْقِعَةِ المدافَع عندَ قَناةِ السويس ، حيثْ دُكَّتْ مواقعُها وحُطمتْ دبَّاباتُها وَوَلَّى رجالُها هاربين ، بعد أن قُتل مَن قُتِلَ وجُرِحَ من جُرِحَ.

بمثلِ هذا العَملِ الْحَرْبِيِّ أدركَ العالَمُ كُلُّه أن شعبَ مصر عزم على الصُّمودِ كَعادته فى كلِّ العصور.

وفى الوقت ذاتِه راحَتْ مِصْرُ تَدْعَمُ المُقاومةَ الفِلَسْطينية داخلَ الأراضى المحتلةِ ، وراحتْ تُساندُها وتؤيدُها وتَدْعَمُها حتى أصبحت أشواكًا تُؤلِمُ إسرائيل وتُقْلقُها ، وتَعْمَلُ لها ألفَ حِسابٍ ، وَمَضى عامٌ على

---

(١) هذا الهجوم : إشارة إلى هجوم إسرائيل على مصر يوم الخامس من يونية ١٩٦٧ م .
(٢) أبى : رفض .
(٣) يرهبنا : يخيفنا .

نكْسةِ يونية ١٩٦٧م ، أثْبَتَ فيه شعبُ مصرَ صُمُودَه وصلابتهَ وعَزْمَهُ وقوةَ إرادتِه.

وَبَعْدَ مرور عَامٍ تَحَوَّلَ شعبُ مصر من مَرْحَلَةِ الصمُّود إلى مرحلِة الرَّدْعِ، فى هذه المرحلَةِ رَاحتْ صَوَارِيخُنا تُزَمْجرُ.

ورَاحتْ مَدَافعُنا تضربُ وكأنها الرَّعدُ والبرقُ والسَّيلُ المنهمر.

ورَاحتْ مَدَافعُنا وصوارِيخُنا تدكُّ حصونَ العدوِّ ، وراحتْ تحطمْ طائراتِه وتَهْبطُ بها إلى الأرض .

ورَاحَتْ صَوَاريخُنا تحطِّمُ و تَضْرِب تَجمُّعاتِ العدو، وتُسكِت مَصَادِر نيرانِه.

ورَاحَتْ طائراتُنا تَضْربُ وتردُّ الضَّرَباتِ بأقوى منها.

وراحَ الفدَائيُّون يَتَسَلَّلُون لَيْلًا ونَهَارا داخلَ إسرائيل يضربون المسْتعمَرات ويُخرِّبون الطُّرقَات ويبثُّون الألغامَ ، وَيَدْكُّون "محطات" النور والمياه حتىَّ حلَّ الخوفُ والقلقُ والَاضطرابُ فى إسرائيل ، وعاش أهلُها فى الخنادقِ ليْلًا ونهاراً. ولم تعدْ لَهُم حُدودٌ آمنة كما كانوا يزْعمُونَ.

وقد تَجَلَّى [١] الصُّموُدُ المصرىُّ فى هُجُوم إَسرائيلَ برًا وبحرًا جوًّا على جَزيرة "شدْوانَ". هذه الجزيرة المصريةُ الرَّابضةُ [٢] عند مدْخلِ خليجِ السويس ، والمعزُولةُ فى الماءِ.

ظلَّتْ هذه الجزيرةُ تُقاوِم العدوَّ وتَصْمدُ أمامه صُمودَ الجبالِ ، حتى استطاعتْ فى النهاية أن تَنْتَصِر فتحظَى بإعجاب العَالَمِ ، واستطاعت بفَضْلِ ثباتِها أن تُضيفَ إلى أمجادِ مصرَ صفحةً جديدةً حَافَلةً بالمجدِ والفخار.

وضعَ العدوُّ كلَّ جهدهِ وكلَّ قُوَّتِه فى غزو شِدوان ورَاحت إذاعاتُه تمهِّد للنَّصرِ فى هذا الغَزْو .

لقد اختار العدوُّ هذه الجزيرةَ الصَّغيرةَ والمعزُولةَ والتى ليس فيها غَيْرُ مجموعة صغيرةٍ من الرِّجالِ ، ليُحَقِّقَ نصْرًا يَجدُ فيه وسِيلَةً للدعاية.

على عاتقِ [٣] هذه المجموعة الصغيرةِ من الرِّجالِ وقع عِبْءُ رَدِّ هذا الغزْوِ فوقَفَ رجالُها البواسلُ يُقاتلون العدوَّ ، ويُدَافعون عن كل شِبْر من أرضِ هذه الجزيرةِ.

---

(١) تجلى : ظهر ووضح .

(٢) الرابضة : المقيمة ، والمراد (الثابتة).

(٣) عاتق : ما بين المنكب والعنق والجمع (عواتق).

كان عَليهم أن يقولوا – نحن أبناءَ مصر – لن نَسْمَحَ للعدوِّ بخطوةٍ واحدةٍ إلى الأمام ، ولن نسمحَ له أن يَحتلَّ شِبْرًا وَاحدًا من أراضينَا ، قالوا ذلك بالصُمودِ والثباتِ فى القتالِ.

لقد صَمَدُوا فى عِنادٍ عَربى مِصْرِى أصيل ... رَابَطَ كلٌّ منهم فى مَوْقعِه وقاتلَ قتالًا عنيفًا. ولم تُخِفْهم إمداداتُ العدوَّ المتلاحِقة. ولم تُثْنِ [١] من عزيمتهم طائراتُ العدُوَّ التى تُلقى قنابلَها فى شِدَّةٍ وعُنفٍ.

من كلِّ مَكَانٍ ظنَّ العَدوُّ أن يَضْرِبَ فِيهِ وهو آمنٌ ، كان يجدُ نيرانَ جُنودِ هذه الجزيرةِ الصغيرةِ تلاحقه. كانتْ هذه النيرانُ تُلاحقهُ من كُل موقعٍ ، ومنْ كُلِّ هَضْبةٍ ، وَمِنْ كُلِّ نُتوءٍ [٢] صَخْرِىٍّ ، وَمِنْ كُلِّ شِبْرٍ فيها ، بلا يأس ولا خوفٍ ولا تردُّدٍ.

كانت الروحَ المصريَّةُ تُقَاومُ بكل حَزْم وَعَزْم ساعاتٍ مُتَّصلةً ، بلا ملَل حتى أدركَ العدوُّ أنه لن يَقْوَى على البَقَاءِ فى هذه الجزيرة ، ومضى يتَراجعُ وينْسَحِبُ أمامَ الإرادةِ المصريَّةِ.

واعترفَ العدوُّ بَبسالةِ الدِّفاعِ المصرىِّ.

وظلَّت الرَّايَةُ المصريَّةُ تخفقُ على الجزيرةِ المناضِلةِ.

وظلَّت رُءوس الرِّجال والنِّساءِ والأطفالِ مرفوعةً فى عِزَّةٍ وَكَرَامَةِ.

وَفى مَرْحَلَة الرَّدْع ، ضَرَبت الضَّفادِعُ المصريَّةُ ضربتَها الثَّانيةَ فى ميناءِ (إيلات) الإسرائيلية.

رَكِبت الضَّفادِعُ الْبشريَّةُ [٣] طائرةً من نَوْع الْهليوكُوبتَر وكلُّهم ثِقَةٌ فى النَّصرِ والفَوزِ، راحت هذه الطَّائرةُ تَطيرُ نَحْوَ هدَفِهَا على ارتفاعٍ مُنْخَفِضٍ وَسَط تِلال سَيْنَاء، ونزَلَت الطَّائرةُ فى مكانٍ محدَّدٍ لها وسَطَ أمواج البحر.

وأخذتْ كلُّ مَجْموُعَةٍ تُعدُّ العُدَّةِ لنَسْفِ القطعةِ البحريَّة المخصصة لها وتُعطى لهُمُ التعليمات الهامَّةِ، وتضبِطُ السَّاعاتِ و "البُوصْلات"، وعندما اقتربوا من الأهداف حَملوا العُبوَّات الناسفةِ المدمِّرَةِ حتى وصَلوا بها إلى السفنِ الحربية التى جاءوا لتَدميرها وأعْطيَت إشارةُ البَدْء فَدَوَّى الانفجَارُ ، وَهَبَّ سكانُ ميناء إيلات من نَومِهِمْ مَذْعورِين ، لقدْ دَوَّى انفجارٌ رَهيبٌ ، واندَلَعَتِ النيرانُ فى الميناءِ تُضىءُ ظَلَامَ الليلِ.

وفى هذه اللحظةِ انطلقَتْ إذاعةُ مِصْرَ تؤكِّدُ هذا النبأ وتقولُ :

---

(١) لم تثن : لم تضعف .

(٢) نتوء : بروز .

(٣) الضفادع البشرية : المراد القوات البحرية التى تنزل فى أعماق البحر.

" قامتْ قواتُنا الخاصَّةُ البَحريَّةُ المنقولةُ جَوًّا للمرَّةِ الثانية بمهاجمة قِطَع الأسطولِ البحرى الإسرائيلى فى ميناء إيلات على خَليج العَقَبة ".

لقد تَمَّ نَقْلُ مَجْمُوعَةٍ من الضَّفادعِ البشريَّةِ المحمولةِ جوًّا إلى الْمِنْطَقَةِ القريبةِ من ميناءِ إيلات فى سيناء، حيثُ نزلت إلى المياه واقتربت من أهدَافِها داخل الميناءِ الْعَسْكَرِيِّ الإسرائيلى وَوَضَعت عُبوَّاتٍ كبيرةً من المتفجِّرَاتِ على جسم كلٍّ من ناقِلة الدبَّابات الثقيلةِ "بَيت هيشَع" ، وعلى سفينة النَّقْل العَسْكريَّة المسماة : "بَيت يامْ" وهى تستخدمُ فى نقل الجنود والمعدات وقد انفجرت العُبوَّاتُ ، وَأَحْدَثَتِ الانْفِجَارَاتُ دوِيًا هائلا ، واشتعلت النّيرانُ فى كلٍّ مِنَ الْقطْعَتَيْنِ البحريَّتَيْنِ وَغَرقَتَا بِمَا كانَ فيهما من أفرادٍ ومعداتٍ كانت مُعَدَّةً لِعمليةٍ عسكريَّةٍ يُدَبِّرُ لها العدوُّ" .

وَتَخَطَّتْ مِصْرُ مَرْحلةَ الصُّمود وَرَدْعِ العدوّ ، وأخذتْ بزمامِ المبادأةِ فى البرِّ والجو والبحر ، وأصبحت تَعْبُرُ القناةَ مرَّاتٍ فى اليوم الواحِد ، لِتُثِيرَ فى الْعَدُوِّ الرُّعْبَ وَالْخَوْفَ.

إنَّ مِصرَ التى استطاعتْ بِصبْرِها وشَجَاعَتِها وعزيمتِهَا أن تَطْرُدَ الهكْسوسَ وتهزمَ الفُرسَ، وتقفَ فى وجِه المَغُولِ ، والصَّليبيينَ ، وتُشَتِّتَ الأتْرَاك ، وتَطْرُدَ الفَرنسيين وتدَوِّخَ الإنجليزَ، قادرةٌ على أن تَفْعلَ بإسرائيلَ ما فَعَلَتهُ بكلِّ أجْنَبِيٍّ دَخيل.

لقَدْ بَرَهنَ شَعْبُ مصرَ من عَهْدِ الفَرَاعِنة حتى الآنَ أنَّهُ شعبٌ شُجاعٌ ، يأْبَى الذُّلَّ والهوَانَ ، لقَد بَرْهن فى كلِّ العُصور على صِدْق ما قالَهُ المؤرِّخُ وعالمُ الآثار الكبيرُ "ماسْبِيرو":

"إنَّ مِصْرَ خالِدَةٌ على الزَّمن .. فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ دَخَلَهَا الغاصِبُون ، وظَنُّوا أنهم قَلبوا مُدُنَهَا أنقاضًا فوقَ سُكَّانِها فإذا شعبُ مصرَ ينفُض عنه ما ظَنَّهُ الغاصِبُون فَنَاءً ، ويُبْعَثون من تَحْتِ الأرضِ أعِزَّةً أقوياء".

هذه طبيعةُ شعب مصرَ ، وهذه صورةٌ من قُوتِه وصَلابتِه على مدى العصُور والقُرون ومهما مرَّت به المحنُ والشَّدائِدُ فهُوَ أقوى من المِحَن وأصلَبُ من الشَّدَائِد.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) ظهرت بوادر عزم وصمود الشعب المصرى فى مظهرين . اذكرهما.

٢) كيف تجلى الصمود فى جزيرة "شدوان" ؟ ولم اختار العدو تلك الجزيرة؟

٣) وضح دور الضفادع المصرية فى ميناء (إيلات) الإسرائيلى.

٤) **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :**

أ- فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ احتلت إسرائيل مدن القناة كلها. ( )

ب- أعلن الشعب المصرى رفضه للهزيمة وأعاد بناء جيشه من جديد. ( )

ج- صمدت جزيرة "شدوان" أمام العدو وظلت راية مصر مرفوعة عليها. ( )

د- أثبت الشعب المصرى على مر العصور صلابته أمام الشدائد. ( )

قامَ العدوُّ الإسرائيليُّ بعْد نَكْسَة ١٩٦٧ بتَحصينِ نَفْسِهِ فأنشأ خطَّ "بارليف" على امْتدادِ السَّاحل الشَّرْقِيِّ لقَنَاةِ السُّوَيْس لِمَنْعِ هُجومِ المصريين ، ولِضَربِ أيَّة قُوَّاتٍ تحَاولُ عُبورَ القَنَاةِ. وقد جُهّز خطُّ "بارليف" بِأقْوى التَّحصيناتِ ، وأحدثِ المُعدَّات الحربيةِ. ومَواقعُ هذا الخطِّ تَتَحكمُ فى اتّجاهاتٍ مُخْتلفةٍ لِتَغْمُرَ نيرانُهَا أيَّة قواتٍ مِصرية تُحاولُ العبُور ، فى أىِّ موْضِعٍ من مَواضعِ قَنَاةِ السُّوَيْس .

وَفضْلاً عن ذلك أُعدَّتْ خَزَّاناتٌ محكَمَةٌ للموادِّ المُلْتَهبةِ ، مُوَزَّعَةً على مَسافاتٍ مُناسبةٍ مُنْتَظمة ، تَخْرُج منها أنَابيبُ تَحمِلُ هَذِهِ المَوادَّ إلى سَطحِ مِياه قَنَاةِ السُّوَيْسِ فإذا ما أشْعِلَت هَذِهِ الموادُّ المُلتهِبةُ تَحَوَّلَ سطحُ القَنَاةِ إلى نارٍ مُوقَدَةٍ ، تَلْتهِمُ كلَّ شيءٍ حَوْلهَا.

وبجانب هذا كله أقامت إسرائيلُ ساتِرًا تُرَابِيًا على الضفَّة الشَّرقيةِ بِارْتِفَاع ١٥ – ٢٠م ليَمْنَعَ أَيَّة "دَبَّابَة" بَرمَائيةٍ من الدُّخولِ إلاَّ بعد إزالةِ هذا السَّاترِ التُّرابىِّ ، وإزالتهُ تَتطلَّبُ جَهدا كبيرا، ووقتا طويلاً ، يُعطِى لجيشِ إسرائيلَ الفُرصَةَ الكافيةَ لمُلاقاةِ أىِّ هُجومِ مِصرىٍّ.

وبجانب مُساعداتِ أمريكا فى إقامةِ خطِّ "بَارْلِيف" زَودتْ إسرائيل بأقْوى الدَّبَّابات ، وأحدثِ الطائرات ، وأحسنِ المُعِدَّات ، حتى ظَنَتْ إسرائيلُ أنها فى بُرجٍ مَشيدٍ ، وحِصنٍ حَصين ومَوقَعٍ مَنيعٍ ، يَستحيلُ اقْتِحامُهُ.

بهذا الاسْتعداد الكبيرِ أصبحت قَناةُ السُّوَيْسِ فى نَظر رجالِ الحَرْبِ والسيَّاسةِ أصعبَ الموانعِ المائية ، وأصبح عُبورُه أمرا صَعبَ المنَالِ ، وقد نَسُوا جميعًا أن روُحَ مِصرَ الثائرة الخالدةِ تأبَى الذُّلَّ والهَوانَ والْهَزِيمةَ.

وكانت مصرُ فى هذا الوَقت تَستعِدُّ لمُلاقاةِ طائراتِ العدوِّ بالصَّواريخِ ، ولم يَكُنِ الأمْرُ سَهْلاً ، إذْ كان العدوُّ يُلاحِقُ قَوَاعِدَ هَذِهِ الصَّواريخِ بطائراتهِ ، ولكنْ كَانت القيادةُ العَسكريَّةُ المِصريَّةُ تَنقلُ غابةَ الصَّواريخ وقَوَاعِدها ، تَبَعًا لخطةٍ سِرِّيةٍ، غاية فى الذَّكاءِ والتَّضليل ، وقد كَانَ لهذه القواعِد فَضْلٌ كبير فى تدْميرِ الطَّيرَانِ الإسرائيليِّ عِندما جاءَت ساعةُ الْعُبورِ وساعةُ اللِّقاءِ.

وَفى اللَّحظةِ المُرتَقَبةِ – ٦ أكتوبر ١٩٧٣– انْدفعَ الطَّيرانُ المِصرىُّ يزْأرُ فى سَمَاءِ سَيْناءَ ؛ لِيُحَطِّمَ مَطَارَاتِ العدوِّ وَمَواقعَهُ ، وَانْدَفَعَ رجالُ الصاعقةِ فى قَلْبِ سَيْناءَ ، يُدَمِّرونَ مُنْشآتِهِ وقَواعدَه وَمُسْتَودعاتِ

المَوادِّ الْمُلتَهِبةِ التى أعِدَّتْ لإرسالِهَا مُشْتَعِلَةً فوق سَطْحِ مِيَاهِ قَنَاةِ السُّوَيْس.

وفى الوقتِ ذَاتِهِ كان المهندسون العَسكرِيُّون يَفْتَحُون فَتحاتٍ واسعةً فى السَّاتِرِ التُّرابىِّ ، بقُوةِ المِياه ، ويُقيمون الكبارِىَ والمعداتِ فوق القَناةِ لِتَعْبُرَ الدَّبَّاباتُ والعَرباتُ الْمُصَفَّحَةُ وَالْمُعدَّاتُ الحربيةُ والجنودُ والمشاةُ إلى أرضِ سَيْنَاءَ.

وانتْشَرت الدَّبَّاباتُ فى قَلب سَيْناءَ فى كل مكان ، وَتَدْهَشُ إذا عرفْتَ أنَّ إسرائيلَ بَدأتِ الْقتالِ وَلَدَيْهَا أكثرُ من ألْفٍ وَسَبَعْمائةِ دبَّابَة وهو عدد يَفُوقُ ما تَمِلكُهُ إنجلترا.

الْتَقَتْ دَبَّابَاتُ مِصْرَ بهذا العددِ الكبيرِ فحطَّمَ الجُزءَ الأكبرَ منْهُ ، وَوَلَّى الباقِى القليلُ الفِرار. لقد انتصرت مِصرُ فى مَعركةِ الدَّبَّابات ، كما انْتَصَرتْ فى معَركِةِ الْعُبُورِ والصَّواريخ.

وكانَ إذا قابَلَ جُندىٌّ من جُنُودِ المُشاة دَبَّابةً من دبَّاباتِ العدوِّ يأبَى الْفِرار ، كان يَنْدَفِعُ نَحْوَها، وَتَتَّجهُ هى نَحْوَهُ لتَسحَقَهُ وَتَمْشِى فَوْقَهُ ، كان يَقِف هذا الجندىّ المِصْرىُّ الشُّجَاعُ صامدًا حتى إذا ما اقْتَرَبَتْ منه أخرجَ مِنْ جَيْبِهِ قُنْبُلَةً يَدوَيَّةً وَفَجَّرَهَا فى داخِلِ الدَّبَّابة ، فإِذا بهَا حُطام بِمَن فيها ، وإِذا هو شَهيدٌ بِجِوَارِهَا.

ولم يكن المهندسُ العَسْكرىُّ أقلَّ تَضحيةً وفِدَاءً ، فقد ألقت طائرةٌ من طائرات العدو قُنْبلةً على مَمَرِّ مطَارٍ مِصْرىًّ، ولكنها لْم تَنْفَجِرَ فأسْرَعَ نَحْوَهَا هذا المُهَندِسُ العسكرىُّ وَحَمَلها بَعيدًا ، قبلَ أنْ تَنْفَجِرَ وَتُحَطِّمَ ما حَولَهَا من طائرات ، وما أنْ مَرَّت ثوانٍ مَعدوداتٌ حتَّى انْفَجَرت القنبلةُ بعيدًا ، وَمَزَّقَتْهُ تمزيقًا ، بعد أن أنقذ كل ما كان فى الَممِّر من طائراتٍ مصريةٍ.

هَذِه الرُّوحُ المِصريَّةُ الفِدَائيةُ العظيمةُ هى سِرُّ عُبُور هذا المانِعِ المائىِّ العظيم، وسرُّ تَحَطَيم خَطِّ بَارليف ، وَسِرُّ هَزيمة مصْرَ لإسرَائيل ، تلك الهزيمةُ الساحقةُ التى حَطَّمت إسرائيل تحطيمًا سياسيًا وحربيًا واقتصاديًا ، وأضاعت الثِّقَةَ الدَّولية بها ، وأصبح الحديثُ عن تَفَوُّقِها الحربى وَهْمًا وخيالًا.

سألَ رَجُلُ المخابراتِ الإسرائيلية ضابطًا طبيبًا مِصْريًا ، بعد أن وقع فى الأسر قائلًا:

– ما اسمُ الحبُوبِ التى تُقَدِّمونَهَا للجنودِ المصريين فى أثناء القتال؟

فقال الأسيرُ المصرىُّ:

ماذا تَقْصِدُ بكلمةِ حُبوب؟

فأجابه :

الحبوبُ الطبيةُ التى تُوَزِّعونها على الجنود فى أثناءِ الحرب ... وأنْتَ ضَابِطٌ طبيبٌ تَعْرِفُ ذلك من غَير شكٍّ ، فلا تُحَاوِلِ الإنكارَ.

فَرَدَّ الطبيبُ المصرىُّ الأسيرُ قائلاً:

– أنتَ تسألُ عن شىءٍ لَمْ أسمعْ به فى حَيَاتِى.

فعَادَ ضَابطُ المخابرات الإسرائيلية يقول:

– مَعلوماتُنَا مَوثُوقٌ بها ... أنتم تُعطون الجنودَ حُبُوبًا تُلْهِبُ شعورهم وتجعلُهم يُحَارِبون بِرُوحٍ انتحاريةٍ.

فَضَحِك الطبيبُ المصرىُّ الأسيرُ وقال : مَن قالَ لَكُمْ هذه الأوهامَ والْخُرافات؟ إنَّكُم وَاهِمُون ولا تقولون إلاَّ زُورًا.

وراحَ ضَابطُ المخابراتِ الإسرائيليةِ يُعَذبُ الطبِيبَ الأسيرَ ... ليجبره على أن يَبوحَ بالسِّرِّ، وأدرك الطبِيبُ الأسِير أنه أمامَ مخبولٍ لا يُريدُ أن يُدركَ أن شجاعةَ المُقَاتل المصرىِّ مُنْبَعِثَةٌ من أعماقِ إيمانهِ بأرْضِه ووطنه، فاضْطُرَّ أنْ يَهزأ به ويَقول:

– إنَّنا نتَناولُ حُبوبَ الشَّجَاعِة قبلَ القِتالِ.

وتَصوَّر ضابطُ المُخابرات الإسرائيلية أنه تَوصَّل إلى سرِّ شَجَاعةِ المُقاتِلِ المِصرىِّ وتَحدِّيهِ الموتَ بلا تَردُّدٍ ، وفاته أن المقاتل المصرى يُؤْمِنُ بأن لكلِّ أجلٍ كتابًا ، وفاته أيضًا أنه يُؤْمن بالقول القائل : رُبَّ جَرِىء كُتِبَت له السَّلامةُ وجَبَان لِقِىَ حَتْفَه فى مَكْمنِه.

لقدْ نَسِيَتْ إسرائيلُ أنَّ قُوةَ الإيمانِ الكامِنَةَ فى نَفْسِ المِصرىِّ والعربىِّ أقْوَى مِنَ القنابِلِ والمدافعِ والصَّواريخِ ، لقدْ تَضَاءَل ما قَدَّمَتْه إسرائيلُ مِنَ اسْتِحكاماتٍ قويةٍ ، وما نَظَّمته من طيرَانٍ قوىًّ ، وما جَمَعتْه من دَبَّاباتٍ عَصريَّة أمام هذه القُوَّة.

لقدْ تَضاءَلَ كلُّ ذلك أمامَ إيمان شَعب مِصْرَ بوطنِه ، وأمامَ إيمانِه بِعزَّتِه وكَرامتِه وحَضَارته.

لقدْ تضاءَلَ كلُّ ذلك أمامَ إرادِتَهِ وصَلابِته وعَزيمتِه ، وتَلاشَى أمامَ النَّار المُتَّقِدَةِ فِى صَدِره والمُلْتَهبةِ

بين ضلُوعِه ، تلك النار التى خَلَّفتْها نَكْسَةُ ١٩٦٧.

لقدْ برهنَ شعبُ مِصرَ من عهدِ الفَرَاعنةِ حتى الآن أنه شعبٌ شُجاع ، يأبى الذُّلَّ والهوان.

هذه طبيعةُ شعب مصر ، وهذه صورة من قوتِّه وصلابته على مدى العُصور والقرون ومهما مرَّت به المِحَنُ والشَّدائدُ فهو أقوى من المِحن وأصْلبُ من الشَّدائد.

المناقشة

أجب عن الأسئلة الآتية :

١) لماذا أنشأ العدو خط بارليف؟ وماذا تعرف عنه؟

٢) كيف أصبحت قناة السويس فى نظر رجال الحرب والسياسة من أصعب الموانع المائية ؟

٣) وضح دور الطيران المصرى فى حرب أكتوبرسنة ١٩٧٣ .

٤) ما دور المهندسين العسكريين المصريين فى هذه الحرب؟

٥) " الطيران المصرى يزأر فى سماء سيناء" ، " الطيران المصرى يطير فى سماء سيناء" أى العبارتين أقوى فى أداء المعنى؟ ولماذا؟

٦) **ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة غير الصحيحة :**

أ- لم ينجح المصريون فى إزالة الساتر الترابى بسبب ارتفاعه العظيم. ( )

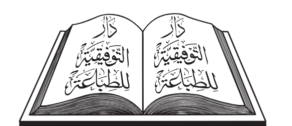
ب- انتصرت مصر فى معركة الدبابات بسبب قلة عدد دبابات العدو. ( )

ج- أصبح الحديث عن تفوق إسرائيل الحربى وهمًا وخيالًا. ( )

د- رفض شعب مصر الهزيمة فى عام ١٩٦٧ وحولها إلى نصر عام ١٩٧٣. ( )

هـ- ما قرأته فى هذا الكتاب يوضح كفاح شعب مصر فى عصور مختلفة. ( )

رقم الكتاب	عدد الصفحات بالغلاف	ورق الغلاف	ورق المتن	طبع الغلاف	طبع المتن	مقاس الكتاب
١٩٢	٦٠ صفحة	١٨٠جم كوشيه	٧٠جم أبيض	٤ لون	١ لون	$\frac{1}{8}$ (٥٧ x ٨٢) سم



http://elearning.moe.gov.eg